

٢

روايات عالمه للحب



Looloo

www.dvd4arab.com

تأليف : رايدر هاجارد
إعداد : د. نبيل فاروق

كنوز الملك سليمان

قصتي في الواقع عجيبة وغريبة ، حتى أنني
انسأل ، وأنا أخطأ إليكم ، عما إذا كانت قابلة
للتصديق أم لا ، فهي - على الرغم من حدوثها -
تبدو أقرب إلى روايات الأساطير ، وخیالات الأدباء ،
بكل ما تذخر به من أحداث مثيرة ، ومواقف
مدهشة رهبة ، وبكل ما تحمله إلى مستمعها
وقرائها من روائع الشرق ، وغموض الأدغال
والبراري ..

ثم أنني لست بالبطل الأسطوري المقدام ، الذي
يمكن أن تحاك حوله كل هذه المغامرات والأحداث ،
فلقد ولدت في (كمبرلاند) ، من أب مزارع ، اختار
لنفسه زوجة من إحدى مقاطعات (ويلز) ، مما
أورثنى حب الانتقال والأسفار ، وملا عروقي بدماء
المغامرة والمجازفة ..

ولا تجعل هذه المقدمة تبهرك ، أو تحبس أنفاسك ،
أو تدفعك إلى رسم صورة خيالية لي ، أبدو فيها
ممشوق القوام ، مفتول العضلات ، وسيم الملامح ،
فأنا - على العكس - هزيل نحيل ، لي وجه يشبه
وجه الجدى الأبيض ، إلى حد دفع المصريين إلى أن

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزرع به الأدب
العالمى ، في مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دلبا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

واليك ..

د. نبيل فاروق

بطلقوا على اسم (الجدى الأبيض) بالفعل ، عندما
قضيت فترة أسيرا في سجونهم ، بأمر خليفتهم ..
ثم إن عمرى الآن يناهز الخامسة والستين ..

ولكن دعونا نعود إلى قصتى ..

إننى طبيب من الطراز القديم ، الذى لم يكن يعتمد
على طرق العلاج الحديثة ، ولم أكد أبلغ سن الشباب
حتى رحت أغذى رغبتى فى الانتقال ، بالسفر إلى
الشرق والغرب ، حتى استقر بى المقام فى (القاهرة) ،
مع حلول عيد ميلادى الأربعين ، وفيها رحت أمارس
مهنتى ، وتصورت أننى سأكتفى بممارستها حتى
آخر يوم من عمرى ، لولا أن التقيت بمستر (هيجز) ،
عالم الآثار الشهير ..

ولهذا اللقاء قصة ..

لقد دعيت يوما لتوقيع الكشف الطبى عليه ،
عندما أصيب بمرض التيفوئيد ، وعلمت أنه واحد
من أشهر علماء الآثار فى العالم ، وأنه يتحدث ما يقرب
من خمس عشرة لغة ، كما يمكنه قراءة اللغة
الهيروغليفية بنفس البساطة التى يقرأ بها (جريدة
التايمز) ، وأنه قد أنفق آخر قرش يمتلكه على بحوثه
فى علم الآثار والتنقيب ، فلم أتردد فى معالجته مجانا ،

إلى أن شفى تماما ، وقامت بيننا صداقة وثيقة .
خاصة وأنه كان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، أى
أن الفارق السنى بيننا لم يكن كبيرا ..

وفى (القاهرة) ربطنى الحب والزواج بفتاة
قبطية ، من إحدى أسر الصعيد ، وسليمة للفراغة
الأمجاد ، ونعمت معها بسعادة لا مثيل لها ، على
الرغم من احتفاظها بطابعها الشرقى ، وانجبت لى
ابنا واحدا ، ثم أصابها الطاعون اللعين ، فقضت
نحبها ، وتركت لى الطفل ، الذى أبت الأقدار أن
تترك لى لمحة من الحياة معه ، وأصرت على أن تملأ
كأس حزنى حتى حافته ، فاختطف رجال (المهدي)
ابنى ، وحطموا ما تبقى من نفسى تحطيمًا ..

وبعدها سارت بى الحياة على نهج ثابت ، ووتيرة
حزينة ، إلى أن فكرت يوما فى زيارة وطنى ،
فسافرت إلى (لندن) ، واتجهت من فورى لزيارة
مستر (هيجز) ، وهناك قادتنى خادمته إلى حجرة
مكتبه ، حيث وجدت نفسى بين أكداش من التحف
والمخطوطات والبرديات الفرعونية ، وصناديق
احتشدت ببقايا موميאות وأجزاء بشرية محنطة ،
ولم يكد (هيجز) نفسه يصل ، حتى بدا لى شبيها
بتلك الأشياء ، وهو يرتدى معطفا أبيض اللون ،

اتسخ كثيرا بآتربة وغبار العمل ، وقد وخط الشيب
فوديه ، وبدا وكأنما قد تسلل إلى عينيه الباهتتين ،
وهتف وهو يصافحني في حرارة :

— يا للمفاجأة !.. (ريتشارد آدمز) بشحمه
ولحمه !.. أهو أنت حقا ؟

ابتسمت وأنا أصافحه قائلا :

— يلوح لي أن كلمة شحمه هذه تحمل الكثير
من المبالغة يا صديقي ، والواقع أنني أردت مفاجأتك ،
فأخبرت خادمك أنني مجرد صديق ، ولم أذكر
لها اسمي .

هتف :

— مرحبا بك في أية لحظة يا صديقي .. دعني
أقدم لك صديقي الكابتن (أورم) .

صافحت الشاب الذي قدمه لي ، وهو مشوق
القوام ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، هادئ
الطباع ، يبدو في الخامسة والعشرين تقريبا ،
و (هيجز) يستطرد في حماس :

— (أورم) هو أحد نوابغ اللغة العربية وعلم
الأثار المصرية ، ولقد تطوع في الجيش إبان حرب
(البوير) ، وأصيب ثلاث مرات .

تبادلت كلمات المجاملة مع (أورم) ، وانهمك

ثلاثتنا في أحاديث طويلة ، استعدنا خلالها بعض
الذكريات ، أنا و (هيجز) ، وتناولنا بعض الطعام
والشراب ، ثم اشغل (هيجز) غليونه ، واسترخى
في مجلسه ، وهو يسألني في اهتمام :

— قل لي يا (آدمز) : لماذا عدت إلى الوطن ؟

أجبت في بساطة ، وأنا ألوح بكفي :

— مجرد إجازة .

اعتدل في حركة سريعة ، وانعقد حاجباه في اهتمام
بالغ ، وهو ينفث دخان غليونه ، متطلعا إلى خاتم
كبير من الذهب ، يزينه فص من الياقوت الأزرق
في إصبعي ، وقد نقشت عليه حروف قديمة ،
فسألته :

— هل يروق لك ؟

أوما برأسه إيجابا ، ومد يده إلي ، فنزعت
الخاتم ، ووضعت في راحته ، وراح يفحصه في
اهتمام ، ثم سألني :

— هل تعرف معنى تلك الحروف القديمة ؟

هزرت رأسي نفيا ، فقرأ الكلمات في هدوء :

— هدية من (سليمان) الحكيم إلى (بلقيس) ،
ابنة الملوك والحكمة والجمال .

ضحكت قائلا :

— يا له من تقليد طريف !! لقد ابتعت الخاتم
من صائغ في (القاهرة) ، بجنيه ونصف فحسب .
تطلع إلى في شك ، منفعما :

— اتعنى انه مجرد خاتم مقلد .. لا .. يبدو
لي انك تسخر منى فحسب ، وإلا فمن صنعه مثقف
للقاية ، حتى يخط عليه هذه النقوش العبرانية
الدقيقة .

ران الصمت علينا لحظة ، ثم قلت :

— الواقع اننى قد حصلت عليه من سيدة تدعى
(ام النجاشي) ، وهى تدعى انها حفيدة (سليمان)
و (بلقيس) .

راح يفحص الخاتم مرة أخرى في اهتمام ، ثم
دسه في احد جيوب صدره ، وابتسم قائلا :

— اهذه هي القصة كلها ؟

القيت نظرة جانبية على كابتن (اورم) ، ثم
اعتدلت قائلا في حزم :

— انا مستعد لان أقص عليك القصة كلها ، بشرط
ان يقسم كابتن (اورم) بالا يعيد كلمة واحدة مما
سيسمع على اذن احد .

قال (اورم) في هدوء :

— تق اننى اهل لثقتك يا سيدى .

بعثت كلماته ولهجته الطمأنينة إلى نفسى ، وبدأت
أروى لهما ، قائلا :

— حدث ان اعتقلنى خليفة (مصر) خمسة
اعوام كاملة ، لخلاف بينى وبينه ، ولم يكذب يطلق
سراحي حتى سميت للبحث عن ابنى (رودريك) ،
الذى اختطفه رجال (المهدي) قديما ، ورحلت اقضى
عمرى متجولا في صحارى (افريقيا) ، على اجد
ولدى ، وقد باعه هؤلاء اوفاد كالرقيق ، إلى إحدى
القبائل او احد التجار ، ولما كان ابنى موسيقيا
موهوبا ، فقد كان تتبع خطواته امرا ميسورا ،
ولقد علمت انه قد راح يتنقل من قبيلة إلى أخرى ،
وقد اطلقوا عليه لقب (مطرب مصر) ، لإتقانه
لغتهم ، والعزف على آلاتهم الوطنية ، وعلمت انه
يستقر الآن وسط قوم من انصاف البرابرة ، يحملون
اسم قبائل (الفنج) ، ويقيمون في وسط (افريقيا) ،
فتنكرت في زى تاجر عربى ، وسافرت مع عدد من
التجار إلى حيث (الفنج) ، وهناك تسلفت حائط
احد معابدهم ، في اثناء احد احتفالاتهم الدينية ،
واستمعت إلى غنائهم .. ولسمعادتى ميزت صوت



استعدت وعي بعد أسبوع كامل ، ووجدت نفسي أرقد في شرفة
واسعة لمنزل أنيق ..

ولدى بينهم ، وتعرفته على الرغم من ثوبه الأفريقي ،
والأعوام التي انقضت منذ فراقنا ، ولحظتها غلبني
انفعالي ، ودفعني حنين الأبوة إلى أن اتناسى كل
قواعد الحذر ، وأصرخ مناديا باسم ابني (رودريك) ،
وهنا ساد الهرج والمرج ، ولحني بعض (الفنج)
في مخبئي ، وانطلق صدد منهم نحوي ، فغلبني
الجبن ، وأطلقت ساقى للرياح ، ورحت أعدو بكل
ما أملك من قوة ، وقد ارتشق أحد السهام بين
كتفي ، غير مبال بزئير الأسود في الأدغال ، ولا
بالأحراش المظلمة ، ولكن فجأة انقض أسد على جواد
يجاورني ، وأصابني بالرعب ، وسقطت فاقد
الوعي .

بدا الانفعال واضحا في صوت (هيجز) ، وهو
يسألني :

— وماذا حدث بعدها ؟

أجبتني :

— استعدت وعي بعد أسبوع كامل ، ووجدت
نفسي أرقد في شرفة واسعة لمنزل أنيق ، وإلى
جوارى حبشية حناء ، تعني بجراحي ، وتداوي
الأمى ، وعلمت فيما بعد أن (الفنج) قد انتقموا
من قافلة التجار العرب ، الذين اندسست وسطهم ،

وأحرقوها عن آخرها ، وأن هؤلاء الذين أنقذوني
من الأسد هم أبناء قبيلة (أباتي) ، التي تعيش في
مدينة (إلمور) ، وقد نالوا نصيبا موفورا من المدينة ،
ويبلغ تعدادهم ما يقرب من العشرين ألف نسمة ،
وهم يحيون في رعب دائم من (الفنج) ، الذين
يحملون لهم كراهية متوارثة ، ويمتلكون حصنا عجيبا
جبليا ، ورثوه أيضا من أجدادهم .

سألني (هيجز) ، وقد ملأت اللهفة حواسه
كلها :

— ثم ماذا ؟

تهدت قبل أن أقول :

— بذلت أقصى جهدي لحض (الأباتي) على
إعداد حملة ضد (الفنج) ؛ لإنقاذ ولدي من العبودية
والرق ، ولكنهم سخروا مني ، وأعلنوا رفضهم
الناس لفكرتي ، فلم أجِد أمامي سوى ملكتهم
(مجيدة) ، ابنة الملوك والجمال والحكمة ، وتظاهرت
بالاهتمام بصحتها كطبيب ، وأفضيت إليها بفكرتي ،
فترددت طويلا ، ثم أخبرتنني أن لـ (الفنج) معبودا
على هيئة (أبي الهول) ، ولكن رأسه ليست على
شكل رأس إنسان ، وإنما هي رأس كبش ضخمة ،
وهذا المعبود يدمي (هرمق) .

تمتم (هيجز) ، وهو يستمع في اهتمام :

— هذا يعني (إله الفجر) .

واصلت دون الالتفات إلى تعليقته :

— و (الفنج) يؤمنون إيمانا قاطعا بأن تدمير هذا
المعبود هو أمر بالرحيل عبر نهر الجنوب العظيم .
سألني (هيجز) في اهتمام بالغ :

— أي نهر هو ؟

اجبته في اهتمام مشابه :

— لم تذكر اسمه ، ولكنه أحد روافد نهر النيل
حنما ، أو أحد فروع . . المهم أنني قد اقترحت
عليها السعي لهدم ذلك المعبود ، فضحكت وأخبرتني
أنه شديد الضخامة ، في حجم جبل صغير ، وليس
من الهين هدمه بالأيدي ، ثم إن رجالها قد فقدوا
الكثير من شجاعتهم وبأسهم ، وأنهم قد استكانوا
للعيش في أرضهم الخصبة ، حتى يوافيهم الأجل
وتطوى صحائفهم ، ولما سألتها عما إذا كانت هي
قائمة بكل هذا الخضوع والخنوع ، أجابتني بأن
الحزن يملأ قلبها وعقلها ، ويؤرق نومها ، ولكنها
على أية حال امرأة ، لا حول لها ولا قوة ، ثم حاولت
قلب الأمور ، فراحت تفريني بكنوز أجدادها المخيأة ،
وتعدني بجبل من الذهب والمجوهرات ، لو أنني

سميت لهدم ذلك المعبود ، فأجبتها بأتنى زاهد في
المال والثروة ، وكل ما أرغب فيه هو إتقاذ ولدى ،
الذى يحيا كمعبد بين (الفنج) ، فأصرت على موقفها ،
وعلى أنها لن تبدل جهدها أو رجالها في سبيل
استعادة ولدى ، قبل أن يتم هدم ذلك المعبود ، وهنا
رحت اشرح لها فوائد الديناميت ، وقوته ، وتأثيره ،
وخواص غيره من المتفجرات ، فهتفت في حماس ،
تطالبني بالعودة إلى بلادي ، وإحضار المواد اللازمة
لهدم ذلك المعبود ، واثني أو ثلاثة لمعاونتي ،
وستمنحني كنوز الأجداد كلها ، وتساعدني في
استعادة وحيدى .

سألنى (أورم) :

— وماذا فعلت ؟

اكملت انا :

— منحتنى الملكة (مجيدة) الكثير من الذهب ،
وعددا من الرجال والجمال ، وسلطنا دروبا خفية ،
لا يعلم عنها (الفنج) شيئا ، وقطعنا عدة أميال في
الصحراء ، حتى بلغنا (اسوان) ، وهناك تركت
الرجال والجمال منذ اسبوعين ، وهرعت إلى هنا ،
لمعرفتى بمدى شغف صديقى (هيجز) بالاثار
القديمة ، وأردت ان أمنحك ، إلى جوار الثروة ،

فرصة لتكون اول من يكشف مدنيات قديمة ،
ضاعت في غياهب المجهول ، وكل ما اطلبه الآن هو
ان نجد رجلا خبيرا في المفرقات ، ياخذ على عاتقه
مهمة هدم معبود (الفنج) .

ابتسم (هيجز) ، وأشار بطرف غليونه إلى
كابتن (أورم) ، قائلا :

— الامر اسهل مما تظن ، فها هو ذا كابتن
(أورم) ، مهندس وكيميائى ، وخبير مفرقات ،
إلى جانب إجادته التامة للغة العربية منذ صباه .
تطلعت إلى الكابتن ، أسأله :

— هل ترضى بإقحام نفسك في مثل هذه
المخاطرة ؟

هز كتفيه ، مجيبا في هدوء وبساطة :

— ليس لدى الآن ما يمنعنى من هذا .

سأله :

— ماذا تعنى بكلمة (الآن) ؟

تضرج وجهه بحمرة خفيفة ، لم تلبث ان تلاشت
في سرعة ، وهو يجيب :

— الواقع أننى كنت اتصور ، حتى امس فقط ،
أننى قد ورثت ثروة عظيمة ، من عم لى ، توفى في

جنوب (أفريقيا) ، واليوم علمت انه كان قد تزوج
من امرأة أدنى منه مرتبة ، على نحو سرى ، وانجب
منها ولدا ، هو وريثه الشرعى ولا شك ، ولكن هذا
ليس السبب الوحيد لرغبتى فى ترك (إنجلترا) ،
وإنما السبب الحقيقى هو أن المرأة التى تصورت
انها تحببى ، وآننى سأصبح زوجها لها ، قد صارحتنى
اليوم بأنها لن تتزوج ضابطا متقاعدا ، ضاع أمله
فى ميراث عمه .

بدا لنا الموقف حساسا ، فلم ننطق أنا و (هيجز)
بتعليق واحد ، احتراما لمشاعر الشاب ، الذى
صمت بدوره ، قرآن على المكان صمت رهيب ،
قطعه (هيجز) أخيرا فى صوت مرتفع ، وكأنما يدير
دفة الحديث بعيدا عن موطن احزان (أورم) :
- ما غرضك الحقيقى من هذا يا (آدمز) ؟

اجبته فى ألم وانفعال :

- حاول أن تضع نفسك فى مركزى .. تصور
أن ابنك الوحيد سجين مع قوم غلاظ النفوس ،
قساة القلوب وأنت قد عثرت عليه ، بعد أن نضج
واشتد عوده ، فهل تتركه عبدا بينهم .
- انتقله بتعريض رقبتك للسيف ؟

- الأبوة يا صديقى غريزة لا تقهر ولا تقارن ، ثم
إن (مجيدة) قد وعدتني بالمساعدة والمال ، ولما
صارحتها بأن أحدا لن يصدق قصتى ، منحتنى
خاتمها للدلالة على صحة القصة ، ومنحتنى الذهب
لشراء المال والعتاد ، وسالتنى ألا يزيد عدد معاونى
على ثلاثة ، فهل ترغب فى أن تكون أحدهم ، أم أبحث
عن غيرك ؟

تطلع إلى فى صمت ، وهو يشعل غليونيه ، وينفث
دخانها فى بطنه ، ثم لم يلبث أن مال إلى الأمام بفتة ،
وسألنى :

- لديك بعض الذهب الذى منحتك إياه ملكة
(الأباتى) ؟

قلت وأنا افتح حقيبتي الصغيرة :
- ها هو ذا :

ناولته بعض الذهب ، ففحصه فى اهتمام ، وبدأ
على ملامحه أن شكوكه قد تبددت ، وهو يقول
ل (أورم) :

- ما دام يحتاج إلى ثلاثة معاونين ، فلم
لا نسطحب الجاويش (كويك) ؟

ثم التفت إلى مستطردا :

— إنه معاون الكابتن ، منذ كانا معا في الجيش ،
وهو خبير القام ومتفجرات ، ولقد كان ميكانيكيا
قبل الحرب ، ثم إنه مخلص كتوم ، متين البنيان .
وبسرعة ، استدعى (اورم) الجاويش (كويك) ،
الذى بدا لى واضح القوة والبأس ، وسأله
الكابتن :

— ما رايك في رحلة إلى وسط (افريقيا)
يا (كويك) ؟

ضرب (كويك) كعبيه بعضهما ببعض ، شأن اى
جندي محترف ، وأجاب :

— لا راي لى يا سيدى .. إننى اذهب حيث
يأمر رئيسى ، ثم إن المتفجرات هى أبسط الأشياء
التى أجيدها .

اصابتنا الدهشة ، وهتف (اورم) يسأله :

— كيف علمت هذا ؟

اجاب دون حتى ان يتسم :

— ابواب المنازل القديمة هشة غير منماسة
يا سيدى ، وصوت مستر (آدمز) ليس من
الاصوات التى تحجبها الجدران .

انفجرنا ضاحكين ، وقال (اورم) :



ناولته بعض الذهب ، ففحصه في اهتمام ، وبدأ على ملامحه أن
شكوكه قد تبددت ..

سنة اسابيع مضت ، ونحن نسير في لجه
لا ننهي من الرمال الصغراء ، التي لم تطاها قلبا
حتى قوافل الدو الرحل ، والشمس تشرق كل
صباح بصوتها الأحمر من خلف الباب الشرقي ،
وتحفي في المساء خلف الكثبان الغربية ، ليصعد
العمر ، ويعمر بحر الرمال بصوته الغصى الساحر ..
وأخيرا بدا لنا ذلك الحل ، الذي هو معبود
(الفصح) ، الذي يواحه مدينتهم (هرمو) ، التي
لا يحاور بعداد سكانها الخمسين ألف نسمة ..
وأخيرا (القط) ، قائد قافلنا ، أن للجبيل
المحيطة بالمدينة مدخلا واحدا ، على مسيرة ثمانية
أيام إلى الشمال ، وأنه لا سبيل للوعدة هذه الأيام ،
حيث تعرضه - في هذا الوقت من السنة - بحيرة
كبيرة ، يفيض منها نهر (أبسور) ، وينهرع إلى
فرعين ، يحيطان بسهول (الفصح) كلها ، ولكن هناك
وسيلة أخرى للوعدة المقام على صحور شامحة ،
الا وهي أن نترك الجمال والاحمال ، ونسلك
الجبيل ..

وكان هذا مستحيلا ..

- إذن فليست تمناع في مرامنا .. هل تدرك
ما سنعرض له من مخاطر وأهوال ، وما ستواجهه
من احتمال عدم العودة مطلقا ؟

هز (كويك) رأسه في بساطة ، وقال :

- ليس أحب إلى نفسي من المغامرة ، ثم إنا
نسحب عن ثروته ، وكل ما اطلبه هو أن نحصل
على خمسة في المائة منها ، لو عثرنا عليها .

هتفت في حماس :

- خذ عشرة في المائة .

أجاب في هدوء :

- تكفي خمسة في المائة يا سيدي ، ويمكننا
أن نحرر عقدا بهذا ..

وبالفعل تم تحرير العقد ..

وبدأت المغامرة ..

ولم يكن من المحدث أن نلج ذلك المعبود ، محلمين
وراءنا كل ما احصرناه لتدميرها ؛ بدا فقد سألت
(القبط) في اهتمام :

— ما العمل إذن ؟

هز كتفيه في لا مبالاة ، واجاب :

— ليس امامنا سوى أن نسير ليلا ونخفي
بهارا ، فمن عادات (الفصح) انهم سيميمون حفلا
رائعا للربيع في مدينتهم عدا ، ومع الفجر يسفلون
إلى معبدهم ؛ لعدم المراكبين لمعبودهم ، وهم
يرفعون الحراسه في تلك الساعات ، ليشاركهم
الحراس احمالهم ؛ لذا فالوسيلة الوحيدة هي أن
نلج أول طريق المور ، مع ليله الاحد بعينهم ،
وساحر رحلي ؛ لإرسال من يرشدنا إلى الطريق
وسط الظلام .

— وكيف يمكنك إبلاغهم ؟

— بإشارات الدخان .. سأحرق بعض الأعشاب ،
وسيصور (الفصح) انها سراا أحد صيادي
المنظمة .

— اليس في ذلك مجازفة كبيرة ؟

— مجازفة ؟!! عجيبا !!.. ما كنت اظن
الإنجليز جبناء هكذا .

وهنا انفجر (هيجز) غاضبا :

— جساء ؟!!.. كيف تجرؤ على هذا القول ايها
المدر .. انظر إلى هذا الجاويش .. إنه حادما ،
واقليا شانا ، ولكن ما بإصبعه الصغير من شجاعة
يعوق ما تحمله منها قلوب قبيلتك كلها .

احتمر وجه (القبط) عصا ، ورفع راسه قائلا
في غلظة :

— انت تنطق هراء يا (هيجز) ، ولكن قولك
هذا سيغير كثيرا ، عندما تجد سيف (الفصح)
فوق عنقك .

كاد (هيجز) يشترك معه في حوار عيب ، إلا
أن (أورم) تدخل قائلا :

— كفى .. اظن أن لدينا من المتاعب ما يعيبنا عن
المزيد منها .

ثم التفت إلى (القبط) مستطردا :

— لا داعي للشجار يا رجل .. إنك قائدنا في
ساعات السلم ، وأنا القائد عندما يخدم الفئال .
وبن سلمك قيادنا الآن ، فعدا ايما وحينما
شئت ، وسنتبعك على الرحب والسعة .

ظهر الارتياح على وجه (القبط) ، وكأنما اعادت

إليه كلمات (أورم) كرامته ، في حين راح هذا الأخير
 يطمئن على الإبل والحياد ، وذهبت أنا و (هيحر)
 و (كويك) إلى حياما ، في محاولة ما لاحتلاس قدر
 من النوم ، قبل أن تهاجمنا أسراب السعوس اللعينة ،
 وقبل أن انعم بقدر كرف من النوم ، جاء الجاويش
 (كويك) ليوقفني مع معيب الشمس ، وليساعدني
 على حزم امتعتي ، ووجدته يقول في قلق :

— لسبب انني عادة في العط الذي يرر محاسنه
 هكذا ، فذلك الرجل يبدو لي مأكرا حيثما ، يكره
 البصر ، ويسمى لو نهك قبل عودتنا من (المور) .
 كان هذا شعوري أيضا في الواقع ، إلا أنني رحت
 اعمل على تهدئة (كويك) ، وانطعنا جميعا نطلع
 طريقا تحت حبح الظلام ، حتى بلغنا حراثت المدينة
 المحصورة ، المظنه على الهاوية ، تحت صخور (المور) ،
 مع تباشير المحر ، فحفظنا الرجال ، وجسنا
 سريخ . وعندما اعتنت الشمس من السماء ،
 أمكسي رؤية مدينته (هرمو) العظيمة ، ببطاري
 المقرب ، على بعد خمسة عشر ميلا .

كانت مدينة كسرة ، ماربها كثيرة ، ذات اسقف
 بصر ، تحيط بها الحدائق من كل جانب ، وشوارعها
 واسعة ، واسواقها مسيحه ، وحول المدينة حدار

عال ، ترتفع في أركانه أبراج عالية ، وببها بوابات
 كبيرة ، وحول الجدار مراص يبيت فيها العشب
 الأحضر ، وتنتشر فيها قطعان الماشية والأعنام
 والحياد ، وعلى مقربة منها ما يشبه مدينت أو قرى
 صغيرة ، من المستحيل أن يشيدها أو يعطيها الهمج
 أو البرابرة ..

وعينا في أمكسا ، سطر قدوم الليل ، لتكمل
 مسيرتنا نحو أرض (الفتح) ، ورحلت أراقب
 (العط) ، وأنا أتذكر حديث (مجيده) عنه ..
 قالت : « لا نخلو نفسي من الشك في أمره ، ولكنني
 استعمل فيه دهاء ومكره وحرانه ، وعليك أن نتحد
 كل الحذر منه ، فليس اطمئن إليه إلا لاسي احفظ
 بروحه وأطفاله رهيبه عندي . وأعده بمكافئه صحمه
 معربه ، لو ساعدكم على هدم معبد (الفتح) » ..
 تذكرت كلماتها وأنا انطلق إلى وجه (العط) ،
 الذي يحمل كل ما يشير القلق في السعوس ، حتى أن
 كلسا الوديع (مرعوس) كان يكرهه ، وينبج في وجهه
 دوما ، بل لقد حاول مرة أن يعرض ألبابه في ساقه ،
 فنادله (العط) الكراهية . ولم تكده عليه سم
 (الاستركيس) نفع في يده ، حتى غمس فيها قطعة
 من اللحم ، وألقاها إلى (مرعوس) ، الذي كاد يلتهمها

بالفعل . لولا ان شئت (هجر) في ذلك المصايف
 المصاعف . فاسرع يمحض قطعه اللحم . ولم يكذب
 يدرك مقصد (اعط) حتى ينسب بينهما معركة
 بالابدي . كذبت تنسب إلى معركة طاحنه بيت وبيت
 رحا (اعط) . لولا ان تدخل الكائن كالمعتد .
 ونهى الصراع . وجميعهما نصب فحان . ولكنى طلب
 وانف من ان نفس . اعط لم تهذا تحاه (هجر) .
 وان حمده عيه سبعا عاف مع مرور الأيام ..

نومف عن احرار الأفكار والذكرات مع مقدم
 النسل . حيث عاودنا السير . يتقدمنا دليل من
 (الأتني) . يحفظ كل شئ في الطريق . وبعد كائن
 (اورم) وانحاوينا كوث . يعودان الإبل المحمله
 بالمرفعات والمفحرات . وأنا جميعها للمرافقه
 واحراسه . وحمى حمار الدفلة الأخرى . ثم في
 المؤخره سير (هجر) و (اعط) بصحة اتبر
 من (الأتني) ..

وبعد اسر (اعط) على السير في المؤخره . حتى
 لا ينسب إليه إبه اخطاء قد مع فيها . وصحة
 (هجر) . ليدل على صفاء بيه وطيب طوبته
 تحاه ..

ونحاه هطت الأمطار في عصف . وراحت الريح

ترار ونعوى . إلا أنا لم نتوقف وإنا واصلنا سيرنا
 في إصرار وصمت . طيله ثلاث ساعات . حتى واجهنا
 أصواء (هرمي) . وسمعا همسا يدعونا لتوقف .
 ثم لم نلت ان نلبا ان صاحبه هو أحد ابوطيس من
 (الأتني) . اندس ارسسهم (اعط) لاسسطلاع
 الطريق . وقد عاد يبحرنا ان عددا من فرسان
 (الفصح) سدوا الطريق . وانه من الضروري ان
 نتوقف قليلا . حتى يسموا إلى مكان آخر . ونسبحوا
 لنا السبيل ..

وانحه (اعط) إلى مقدمه . لاسسطلع ما حدث .
 ولم يكذب كلنا (فرعون) شمس رانحه عدوه . حتى
 انطلق ينبج في شراسة ..
 وانطلق (القط) يعدو ..

واصفرت الحمال لعدوه . وانظمت بمدور
 بدورها ..

وحفل فاده الحمال . عندما راوا (القط) يهر
 فوق أحد الجمال . ويركض به هاربا ..
 وهنا التفت إلينا فرسان (الفصح) ..
 وهبط فلى بين سافى . عندما رأينهم يرفعون
 مشاعلهم . ويتجهون إلينا ..
 وكانت لحظات محييه ..

لم ندر كيف فعلنا كل هذا ..

لقد فخرنا كلما فوق ظهور الجمال ، وتركناها
تعدو بنا بسرعة الرق ، دون ان نحدد هدفنا او
اتجاهنا ..

لا ريب ان اندعر ، ذلك الذي جمعنا نفعل كل
هذا ..

إبه اقوى محرك لم هو في مثل موقعنا او
طروفنا ..

المهم ان الحمال راحت تعدو مستعدة ، ونحن
سسمها قيادنا تماما ، حتى حفت سرعتها ، إلى ان
راحت تسير تحت قباب عاليه ، وتوقفت كلها فجأة ،
فهبطت عن ظهورها ، وربطنا بعضها إلى بعض ،
واوينا إلى برج عال ، ننمى به الأمطار العريرة ، وقد
اجتمعت قلوبنا إلى ان مطاردينا قد فشلوا في تتبع
خطانا ، فتراجعوا إلى مواقعهم ..

لحظتها كشفنا اختفاء (هيجز) ..

واصابنا هذا بالذعر ..

إسا لم نلاحظ هذا ونحن نعدو هاربين ، ولم ننبه
حتى إلى ما حدث ..

هل نبع (العظ) في مراره ، ام فشل في اعتلاء
حملة مثلنا ، فأوقع به مرسا (المح) ؟!

حرنا في البحث عن الجواب ، وعلينا الحزن
والنوم ، فرحنا في سبات عميق ، لم يستيقظ منه
إلا عند العجر ، فوجدنا ان الأمطار قد انعطت ،
وكشعت السماء الصافية ، التي تنالق فيها بقايا
الحوم ، التي يبدو ضوء الشمس بريقها قدربحيا ..
ورفع كابتن (أورم) رأسه إلى أعلى ، وهو
يقول :

— تعالوا سنكشف ذلك المكان ، ونصعد في هذا
الدرج هنالك .

رحنا نصعد في درجات السلم المرتفع ، حتى وجدنا
انفسنا على قمة احد ابراج سور مدينة (هرمق) ،
نطل على واد مسيح يتوسطه تمثال حيوان رائع
الصخامة ، يشبه تمثال (أسي الهول) ، ووجدت
نفسى اهتف في انفعال :

— إنه مصبود (الفنج) .

غمغم (أورم) في حزن :

— كم اتمنى لو أسي انا الذي لقي مصرعه ، بدلا
من (هيجز) ، حتى لا يحرم رؤية ذلك الاثر
الهائل .

وصمت لحظات ، ابتلع خلالها حربه ، قبل ان
يضيف :

— هيا نهبط ، فقد يمكننا الفرار ، قبل ان
ينفثع شباب الفجر .
اجبته في انفعال :

— انتظر .. انظروا إلى تلك الصخرة هناك ..
تلك التي ترص فوقها اسوار ، والتي يحيط بها
الصاب .. إنها الصخرة البيضاء ، التي قال
، اعط .. إنها بداية سلسلة الجبال ، التي تسهي في
، المور .. هيا سحبه إليها ، فقد يكون هذا هو
فرستنا الوحيدة للنجاة .

هبطنا إلى حيث تركنا الجمال ، ورحنا بمحصى
ابواب حذار ، هرمي الصخم ، ووحدناها من
الساحس والروبر ، وقد علاها الصدا ، وهي معمة
من الداخل ، وبها فحواص مستطمة ، ستخدمها
— ولا شك — فرسان (الفصح) ، في إطلاق سهامهم
على الأعداء ..

وانحسب لآلئ نظرة عمر إحدى الفحواص ..
ثم تراجعت في رعب ..

لقد كان هناك بعض فرسان (الفصح) ، يدفعون
بحوا ، والشر بطل من عيونهم ، تصرحت مدعورا :
— الفرسان يهاجموننا .

انطلقت اعدو نحو الجمال ، في حين راح (اورم)
و (كويك) يصلبان فرسان (الفصح) بيران سدفياتها ،
حتى سقط نصف الفرسان صرعى ، وفر النصف
الأخر ، إلا اننا لم نلت ان فوحنا بعريق آخر من
الفرسان ، يعمل الاسوار ، ويهاجمنا مطما عسا
السهام في شراسه ، فقال (كويك) في حرم :
— اتركوا لي امرهم .. سألقى هؤلاء الأوغاد
دوسا .

قالها وتسلل كقط حذر نحو الاسوار ، ورايته
يدس احد اعماه في قاعدة السور . ثم يتراجع في
حفة ، هاتفا :

— اسرعوا .

لم يكذبهم عبارته ، حتى دوى انفجار وهيب ،
وسقط بعض (الفصح) قتلى ، في حين جعلت حبال
المقص الآخر ، وراحت تعدو متراجعه ، في حين
انطلقنا نحن على ظهور الجمال ..

وصاح أحد (الأباتي) في دعر :

— إنهم يطاردوننا ..

النفث لأجد فريفا من (الفصح) يطاردنا ، ولم أكد
اعتدل حتى رأيت حيننا من الفرسان يقص علينا ..
لقد وقعنا بين المطرقة والسندان ..

وهوى قلبي رعا وباسا ، لولا ان هتف كاش
(اورم) :

— يا إلهي ! .. هؤلاء الذين أمامنا ليسوا من
(الفنج) .

اسرع اصع مطاري المغرب على عيني ، واتطلع
إلى حيث بشر ، فوق بصرى على اعلام (الآباني
الحصراء ، وعليها تلك الكتاب العرابية ، التي
توسطها صورة عرش (سليمان) ..

واسرعا نحو فرسان (الآباني) ، ولم نكد نلهم
حتى بررت من بينهم امرأة في بغاب أبيض ، وثوب
ناصع البياض ، وسالتي بلفتهم :
— من القائد هنا ؟

اشرب إني (اورم) ، الذي يكاد يسقط من فوق
حمته ، من شدة الإجهاد والإعناء ، فحاطبه في لحظة
تشف من أصلها النبيل :
— ماذا حدث يا سيدي ؟

سالها في حزم :
— هل لي ان اعلم أولا من أخاطب ؟
رعب رأسها في اعرار ، وهي تقول في ترفع :

— أنا الملكة (مجيدة) ، انة الملوك والحكمة
والجمال ، وشعاري على جبيني يطلو صدقي ..
ورفعت الغاب عن وجهها الغائر الساحر ..
وتراجع (اورم) مبهورا ..
بل مشدوها ومسحورا ..
لقد رأى أمامه حورية من حوريات الجنة ..
رأى حفيذة (سليمان) ..

يمكن القول ، دور أدبي قدر من المصنفه . أن
(مجيدة) قد سحرت (أورم) تماما ..

لقد رأيه وقد سى كل نعه وإجهاده . وهو
يحدث في وجهها القاتر . وجمالها الطامى . قبل أن
يتمتم مبهورا مشدوها :

- أيا في حلم ؟! .. أميرة هي أم حورية من
حوريات الجنة ؟

سألنى (مجيدة) في حيرة :

- ماذا يقول صاحبك ؟

ترحمب لها حديثه بكن أمانه ، مصريح وجهها
بحمره أحمر . وأسرع تسدل اسباب على وجهها
في حياء ، مسح الكاس حرجا ، واعتدل قائلا في
حرم ، ندا وكده محاولة للسيطرة على مشاعره :

- يجب أن نعمل سلهجوم على (الصح) قبل أن
يستعيدوا جاشهم .

ولكن ، محبده ، أحاسه في هدوء ، باللعة العربية
التي يجيدها (أورم) :

- يجب أن استشير مجلى أولا .

ثم التفتت مستطرده في لهجة أميرة :

- أين عمى الأمير (جوشيا) ؟

وتقدم نحوها فارس شاب ، منيب البسيان ،
يرتدى حلة شرقية ثمينة ، ودرعا وخوذة كهرسان
الغرب ، وسالته (مجيدة) :

- لقد تهدم جزء من السور كما ترى ، امتحدها
فرصة مناسبة لمرور (الصح) ، أم انه علينا أن
ننتظر ، حتى يهاجمونا هم .

حدث في وجهها بدهشه ، وهتف مستكرا :

- هل أصدك الجنون يا ابنة الملوك ؟! .. إننا
لا نريد على حمسمائه رجل ، أما هم معددهم يربو
على العشرة آلاف .

هتفت غاضبة :

- ولكنى أرغب في مهاجمتهم ، فمن يتعنى ؟
صاح بعض رجالها يؤيد قولها ، إلا أنها أصافت
في مرارة :

- يؤسنى ألا استطيع هذا فعلا ، فرجالى لم
يخلقوا للحرب والقتال .

سرت همهمه عاصية بين رجالها ، واستل عمها
سيفه ، هاتفا في صوت جهورى :

— أبا تعرفين مدى شجاعتى وحرأتى ، وتعمس
كم قتل هذا السيف من (الفنج) و ...
قاطعه (اورم) فى صرامة :

— أعد سيفك إلى غمده يا رجل .

بدأ العناد على وجه الرجل لحظه ، لولا أن ظهر
ثلاثة من فرسان (الفنج) يتجهون إليها ، وقد أحصى
أحدهم وجهه بهباع أبيض ، به نقوش للعيسين والهم ،
فتراجع (الأباتى) فى خوف وقلق ، فى حين نفت
(مجيده) قوية منماسكه ، وهى تقول فى حزم :

— إنهم رسل (الفنج) دعنا نر ماذا يريدون .
أفل الفرسان الثلاثة ، حتى توقفوا أمامنا ،
والموا علينا اسخيه فى أدب واحترام ، ثم قال
أحدهم :

— لقد أبا يا (أم السحاشى) واسة (سليمان) ،
لتحدث إلى البيض الثلاثة ، الذين قتلوا العديد من
رجالنا ، وهدموا أحد أسوارنا ، وأرسلوا السرق
والرعد إلى صدور فرساننا .

سأله (مجيدة) فى ترفع :

— ماذا تريدون منهم ؟

أجابها :

— لقد سقط رابعهم أسيرا لدينا ، وحكم عليه
كهنتا بالموت ، ولكننا مستعدون للإبقاء على حياته ،
كما فعلنا مع (مطرب مصر) وكهن (هرمق) ،
مقابل أن يضم البيض الثلاثة إلينا ، لا إليكم .

قال (اورم) فى حزم :

— إبا نشكر سلطانكم على عرصه هذا ، وبؤسنا
أن اضطربنا لقتل عدد من رجاله ، دعانا عن أنفسنا ،
و نحن نعتز بأن (الأباتى) قوم جساء ، ولكن ملكتهم
إمراة عظيمة ، كبيرة القلب ، ولقد وصلنا هنا على
مس جمالها ، وعرض خدمتها ، وهذا يضطربنا لرفض
عرض سلطانكم ، مع عظيم الأسف .

هر الرجل رأسه متفهما ، عندما استمع إلى رد
(اورم) ، ثم التفت إلى (مجيدة) يقول :

— سلطانا العظيم (بارويج) يوجه إليك الدعوة
نفسها ، وأنت تعلمين ما بحمله لك من احترام
وتقدير وتوفير ، وهو يدعوك إليه على الرحب
والسعة ، ويعدك بأن يضعك على رأس روحاته ،
أو يترك لك حرية الرواح بمن تشائين .

قال عمارته الأخيرة ورمق (اورم) نظرف حمى ،
وكانما يعنيه بها بالذات ، قبل أن يتابع :

— أتركى قومك الحساء وانصمى إلينا ، يقتديك
رحابا بأرواحهم . فقد أديت واجبك على خير
ما يرام ، ولولاك لصار شعك ملكا لنا منذ سواب ،
و نحن نعلم أنك قد لحأت إلى هؤلاء البيض ؛ لبهدموا
مصودنا بسحرهم ، بعد أن وعدتهم بكنوز وذهب
ملوكنا الأقدمين .

سأله (مجيدة) في خفوت :

— من أحبرك بهذا ؟.. أهو أسيركم الأبيض ؟

هز الرجل رأسه نفيا في هدوء ، وقال :

— لا يا (أم النجاشي) ، بل هو (القط) ..

والآن ما جوابك يا زهرة (المور) ؟

اعتذرت (مجيدة) في محسها ، فوق صهوة
حواذها ، وبدت بي على ما أروع ما يكون ملكه ،
وهي تقول في حزم :

— لقد أفسدت شرفي أن أحمى (المور) حتى
النهاية .

ابتسم الرجل وقال :

— لن تحشى بشرفك يا زهرة (المور) ..

سبى ملكا هذه المظلة من الحساء ، ثم يوليک عليها
مرة أخرى ، فصحبين ملكه على أرض تنهبين
بمسالة فرسانها .

وفجأة رفع الفارس المصع قناعه ، والقاه على
الأرض بحركة سريعة ، وبدأت — لأول مرة — أساريره
السيلة ، وشترته الحاسية ، ووجهه الذي يشف عن
سنوات عمره المقارب للخمسين ، وقد أطلق لحبته ،
وتألف قلادة فرعونية قديمة على صدره ، فترجل
الفارس الأحرار عن جواديهما ، وسحدا أمامه
هانقين :

— (بارونج) .. (بارونج) .

وأمام فيص الهيئة المتدبو من الرجل ، لم يملك
إلا أن تحببه في احترام بالغ ، ولم يسمع (مجيدة)
سليته الملوك إلا أن تنحى له ، فرد تحينا برفع
رمحه في عظمة وهيبة ، قبل أن يقول :

— لقد سمعت يا (أم النجاشي) و (زهرة المور)

وبارجال العرب ما قاله حادى بأمر منى ، ويؤسفى
مطاردة رجالي لكم ، مما يليق بفرقه كاملة من
الفرسان أن تطارد أربعة رجال ، ولكنى أمد لكم
يدى ، وأرحو سليلة الملوك أن تعمل صداقتى ،
فليست أحب أن أتورط في معاتلة جيش ضئيل من
الرعاديد ، لا يستحق سوى الأردراء أو الشفعة ،
وإلا فإننى سأنتقم لهدم معبدى ومصودى شر
الانعام ، وسيكون الأسير الأبيض كثر العدا .

ضربت (مجيدة) مقدمة سرجها بقبضة يدها ،
وصاحت :

- محال يا (باروئج) .. لن احضع لكم واعبد
معبودكم ، متخلية عن ديني الحق ، الذي آمن به
(سليمان) وحفدته .. إنه من المسحيل ان تحضع
عقيدته حمة لصم قد من حجر ، اما رعينى ، التى
اعترف بجسها وحنوعها ، فإننى افصل لها موتا
شريفا ، على حياه هى الرق والعمودية والجحيم ،
واسقامك لمعبودك لا يهمنى أو يردى ، مادمت احطمه
فى سبيل الله (سبحانه وتعالى) ، حامى وإلهى ..
واذبحنى لو أن هذا قدرى .

وصمت لحظة ، ثم أضافت فى حزم :

- هذا حوائى كملكة لشعب يدين لها بالولاء ، اما
كأمراه ، فانا اشكر لك عواطفك وادبك الجم .

رأى الصمت لحظات ، ثم سالها السلطان :

- اهذا جوابك النهائى ؟

رفعت رأسها فى امتزاز ، وهى تقول :

- نعم .. ومعنى ان اعلى هؤلاء الاصدقاء البص
انى احبهم من وعدهم ، فلا معنى لآن بلغوا بأيديهم
فى الهلكه ، فى سبيل حرب حاسرة ، وادكرك بانك

قد ضمنت لهم الحرية والإبقاء على حياتهم ، لو
انضموا إليك ، وكذلك على حياة زميلهم الرابع ،
الذى تحتفظون به أسيرا . ثم إن لديك أسيرا آخر ،
تطلقون عليه اسم (مطرب مصر) ، هو فى الواقع ابن
أحدكم . ولست اطلبك تصن بالولد على والده .

توقفت منتظرة جواب السلطان ، ولكنه بقى
صامتا ، يتطلع إليها ، فالتفت إليها مستطردة :

- اذهبوا إليه ايها الاصدقاء ، واشكر لكم
رحلتكم الطويلة من اجلى ، وسارسل لكم هدية
صحمه من الذهب ، وربما التقينا فى حرب قريبة ..
الوداع ايها الاصدقاء .

كان من الواضح انها ترقبنا من خلف بوابها فى
اهتمام شديد ، وكأنها تنتظر معرفة ردود افعالنا ،
وكذلك راح السلطان يراقبنا بعين الاهتمام ،
متخللا شعر لحينه الكنه بأصابعه ، حتى قال كابتن
(اورم) :

- يمكنى ان اتحدث عن نعى ، وعن الجاوبش
(كويك) ، فاقيد نعيمنا بالوعد الذى قطعناه
للملكة ، وارفض نكل اسف عرض السلطان ، فحين
نرى ان هذه الملكة الشجاعة تناضل من اجل شعبها
ودينها ، ونحن نفكر كثيرا مثل هذه الحروب .



ولم يكذب يفترب منهم حتى يفض عليه بعتة العم (حوشيا) مشهرا
سيفه ، وخلفه بعض الرجال ..

كان من المؤلم والمعبر بالنسبة إلى ان اتحد
قرارى ، فقد كان يعنى اسصحية تماما بولدى ، من
احل التمسك بوعد لامراه تحكم شعبا من الحساء ،
ولكن السلطان لم ينتظر جوابى ، وإما قال فى اسف :

- كم تميب لو حاء جوانكم نصر هذا ، ولكن
يبدو انكم تحترمون الوعود كثيرا ، ونصحون بكل
مرتخص وعال فى سبيل ذلك ، على ابيه حال
استودعكم الله ، منسيا لو ان (محيدة) تحكم شعبا
آحر ، عبر هذا القطيع من الحساء ، الذى لا يستحق
شينا من مزاياها العظيمة .

ثم مد يده إليها ، قائلا :

- هاتى يدك يا (ام النجاشى) .. سأعود بك
إلى قومك .

دولته كلها اترقبه ، فعادها فى رفق إلى حيث
قومها ، ولم يكذب يفترب منهم حتى انقص عليه بعتة
العم (حوشيا) مشهرا سيفه ، وحقه بعض الرجال ،
وهو يصيح :

- لقد وقعت يا (ناروح) .. احصع لسا او
بمنلك .

كان السلطان قد تحلى عن سلاحه ، تعيرا عن

حسن نيته ، وهو بفود (مجيدة) إلى قومها ، لذا
مقد احتقن وجهه غضبا ، وهو يصيح :

— أبها الحار الحرير .. لو أنى أحمل سيمى
للقى أحدا مصرعه حتما ..

ثم التفت إلى (مجيدة) ، مستظردا :

— هذا الحلق الوضيع يشف عن جس ، هو سر
احتفارا لشعك هذا .. أتري كيف يحاربون رجلا
اعزل ؟

صرخت (مجيدة) في صمها حائقة :

— أحضس سلاحك هذا يا (جوشيا) .. إنك
تجلب لنا العار بأسلوبك المشين هذا .
ولكن (جوشيا) هتف في عناد :

— الصيد أتم من أن أتركه بهذه الساطة .

مال الكابتن على أذنى ، هامسا :

— سامع هذه الحدعة العذرة ، وساطلق النار
على رأس (جوشيا) أعذر هذا ، لو هم يمس
السلطان بأذى سوء .

لم يكذ الحاربيش (كويك) يستمع إلى حديثنا
حتى وضع الفكرة موضع الصيد على العور ، واطلق
النار بين قوائم جواد (جوشيا) ..

وجفل الحواد مذعورا ..

وسقط (جوشيا) أرضا ..

وفي غمرة الهرج الذي حدث ، اندفعنا نحو
السلطان ، واحطنا به وبجواده إحاطة السوار
بالمعصم ، حتى أخرجناه من وسط الحصار ،
وسلمناه إلى حارسيه ، المدين كاد عليهما يتوقعان
من شدة خوفهما على سلطانهما ، الذي قال لهما
في امتنان :

— إننى أدن لحرانكم وشجاعكم بحياتى .

ثم برع قلادته المرعوية الذهبية القديمة ،
ووصفها حول عنق الحاربيش (كويك) ، واطلق
على جواده عائدا إلى حصه ، بصحة حارسيه ..

وهتفت (مجيدة) في صرامة :

— سنتخذ طريق العودة .

وكالكلاب المدعورة ، وضع رجالها أذانهم سر
سيقانهم ، واطاعوها صاغرين ..

وكان علينا أن نبدا مرحلة جديدة ..

ومحيقة ..

لم تكن تنصور ابدا ان طريقا من السهول إلى مرتفعات (المور) يمر على هذا السحو . فقد كان الصعود أشق مما يمكن تصوره بكثير . فالواضح ان هذا الطريق لم يصنعه بشر . وإنما صنعه تدفق المياه من المرتفعات إلى اسحيرات ، التي كانت تغطي فيما مضى السهول كلها ، فل ان تنصر على مساحه محدوده من الماء . لا يتجاوز طولها الخمسه والعشرين كيلومترا ، ولا يزيد اسعاعها على الخمسين كيلومترا . .

وهذا الطريق يتسع في بدايته ، بحيث يسمح لسير ثلاثة حياض متجاورة . ثم لا يلبث ان يضيق . حتى يكاد لا يتسع إلا لحواد واحد . وترتفع على حاسى الطريق حوائط صخرية إلى عدة مئات من الأمتار ، وتسدو السماء فوقها كشرائط اوراق ، وتمحى الشمس عن إلقاء ضوءها وسط ظلمة الممر ، إلا لحظات معدودات ، في منتصف النهار . .

وبين حين وآخر يخفى أحد الحدارين . تاركاً هوه سحيقه ، تتجاورها احياء وهي ترتفع . يمر شريط الممر الضيق . هذا إلى جانب عشرين

البوابات ونقاط الحراسة ، التي تصافرت مع عوامل الطبيعة ، لتضع (الفصح) من غرو بلاد (الأباتى) ، على الرعم من حين وضع الفئه الأخيرة . .

وسار بنا الموكب الضخم ، يتقدمه سلاء (الأباتى) على صهوات حيادهم ، تلبهم فرق مسلحة ، توسطها الملكة (محبدة) ، ثم الحاشيه واصطاط . وبحس بينهم ، وفي الهابه فرق مسلحة أخرى ، عليها حمايه المؤخرة طيلة الوقت ، حتى يلما بوابه (المور) في نهاية النهار . .

وكان المشهد رائعا . .

سلسلة من جبال تحيط بسهول واسعه معتدة ، تناثرت فيها المرروعات والساعات واشجار النخيل ، وبسها افست بيوت ومساكن متناثرة . تحيط بكل منها حديقة ابيعه ، وعلى مدى البصر هناك بحيره فضيه ، البت حولها اكواح الرعاة والزرع ، على نحو يؤكد ان (الأباتى) ، على الرعم من عيونهم ، ملاحون وزراعي مهرة . .

واستقبلتنا جماهير المدينة استقبالا حارلا ، وراحت تهتف بحياة الملكة والقواد ، حتى يلما العصر الملكي . ذا القباب الذهبية ، الذي اتبعت

لى ويارته من قتل ، ولم يكذب سحر بنا المقام فيه ،
حتى سأل (جوشيا) (مجيدة) فى غلظة :

— هل سيميم ضيوفك فى مساكن الحجاج بالمدينة
الغريبة ؟

كان يحدث بأسلوب اسمرارى متعمد ، إلا أن
(مجيده) بدت هادئة ، وهى تحبه فى ساطة :

— لا يا عماء .. سيقيمون هنا فى قصرى .. فى
جناح الضيوف .

احتقن وجهه غضبا ، وهو يهتف مستنكرا :

— فى قصرى ؟! .. محال .. محال .

سأله فى ضيق :

— لماذا يا عماء ؟

أجابها فى سخط :

— اسببت لك لم تتروحي بعد ، واسى لا اقيم

بالقصر لاسهر على حمايتك ؟

أجابته هى فى حزم :

— لم أس هذا ابدا ، ولكنى استطيع السهر

على نعى ، وارى أنه من الواجب أن يقيم ضيوفى

فى مكان آمن ، إلى حوار امعتهم .. اذهب انت

لتحصل على قدر من الراحة ، وسأرسل لك طبيى

الحاص ، ولا تسى أن تشكر الله على نجاتك من
المهالك .

امنع وجه (جوشيا) لتلك السخرية المعلقة بإطار
مهدب أبيض ، وبدأ وكأنه سيجيب بعبارة قطة ، لولا
أن غادرت (مجيدة) المكان فى خطوات سريعة ،
فضرب نصته فى الحائط فى غيظ ، وانصرف حلقها
باقما حاقدا . ولم ينس فى انصرافه أن يرمق
الجائش (كوبك) بنظرة قاسية ، تشف عن حقد
الحاص بحسره ؛ لأنه المسبب فى وقوعه من فوق
صهوة جواده ، وإصابة صلوعه بتلك الكدمات ..

ولكن هذا لم يقلق (كوبك) كثيرا ..

لقد كان هناك أمر آخر يقلقه ..

أمر الكابتن (اورم) ، الذى كان قد أصيب بحرح
سطحي ، فى أثناء نصف سور (الفبح) إلا أن تلوث
هذا الحرح قد أصابه بحمى ، راحت تتزايد
تدريجيا ، حتى اشتدت وطأتها عليه مع بلوعها
العصر ، فلم يكن ما إلا أن يعسا إلى فراشه ، ورحت
أدوية بالماء واللس ، حتى يشفى من الحمى ..

ولقد اهتمت الملكة (مجيدة) بأمره كثيرا ،
وأرسلت تسأل عن صحته مرتين ، طوال الليلة

التي سهرتها إني حواره ، ولم تكذ تشرق الشمس
حتى اصطاحت طيبها العاص إلى حجرة أورم .
وسألتني في قلق :

— هل سيحيا ؟

اجبتها في خفوت :

— لا يمكنني البت في هذا الأمر حتى الآن . فإنا
أحس أن يصاب بالنسهم من تلوث الحرج .

ادهشني أن تعثمت في جزع :

— انقذه أرحوك .. انذل ما يوسمك لاحه .
وسأمنحك كل ما تطلب .

ثم انتهت فجاء إني لهما النالعه ، فأضامت
في خفوت :

— اعمر لي ، بعد سبب انه صديقك ، وانك
لا تدخر جهدا لمدادائه .

طمأنها قائلا :

— سأبدل أقصى جهدي يا مولائي .. اطمئنني .
أما طيبها . فقد راح يساري معي في وصف
أنواع من الأدوية والعلاج ، لو تناول منها (أورم)
حجرة واحدة لمضي بحبه على الفور ، لولا أن رحت
استبدل بها أنا أدوية أخرى منطقية ..

ومرت ثلاثة أيام بطنه ، أملاّت فيها نفوسنا
بالشك والقلق ، إلا أن الكابتن لم يلبث أن تمائل
للشعاع ، ولم تقو الملكة على كتمان سعادتها وسرورها
بذلك ، وراحت تولى (أورم) المرشد من العطف
والحنان ، حتى أنه لم يكذ يعادر فرائسه سليما
معاني ، حتى راح يحتلّي بها كثيرا ، ويتبادل معها
الأحاديث الهامسة ، مما أصابني بالقلق ، فقلت
له مرة :

— حذار يا صديقي .. من الخطر على شاب
مثلك أن يوثق صلته بالملكة .

فهقه ضاحكا ، وقال :

— اطمئن يا صديقي ، فموانين هذه المملكة تحتم
رواح الملكة من أحد أقاربها ، ومن المستحيل أن
تربط بي أنا .

ثم أضاف في جدية واهتمام :

— قل لي : هل يملك أحبار عن (هجر) أو
ولئك (روبريك) ؟

قلت في ضيق :

— يلوح لي أنه من الأحدي أن تلعني أنت
ما لديك من أخبار ، فانت لصيق بالملكة ، وتعلم عنها
ما يجهله حتى عمها .

ابتسم واجاب :

- لقد ابلغتني ان كليهما في صحة جيدة ، وانهما يعاملان معاملة حسنة ، ولكن السطان (بارونج) يعزم التصحية (هجر) بعد اسوعين ، وانا اعترم بدل حياتي ، لو اقصى الامر ، في سبيل مع هذا .

وصمت لحظة ، ثم اضاف :

- وهذا هو محور احاديثي الهامسة مع امحدة) ، بخلاف ما تصورت انت .

قلت في اهتمام :

- يحب ان يحرك على الفور ، بعد تم لك الشفاء ، ولم يعد هناك مبرر للتلكؤ .

قال في حماس :

- سأبدل اقصى ما يمكن لتحليص (هجر) ، حتى لو اقصى الامر ان ادله بعني ، عند سلطان (الفنج) .

ومال على ، مستطردا بمزيد من الحماس :

- استمع إلى .. ستمعد .- مجيده) مجلسها الاكر بعد ثلاثة ايام ، وستحاكم خلاله (الفط) ، واعب الطر انها ستحكم عليه بالإعدام ، وبمعددها

سعرض ما لدينا ، لنصل إلى قرار حاسم .

واعتدل في حزم ، مستطردا :

- وليبدأ عملية الإنقاذ .. مهما كان الثمن ..

ودوت العبارة الأخيرة في رأسي ..

« مهما كان الثمن .. »

وارتعف جسدي في خوف ..

٥ - الحياة والموت ..

لم يرق لى أبدا ذلك الأسلوب ، الذى حصرنا به
مجلس الملك ، بعد مرور تلك الأيام الثلاثة ..

لقد قادنا الحرس إلى المجلس ، كما لو أننا نحن
السحباء ، ووجدنا الباب من (الأباتى ، هاك ، وقد
جلسوا فى صفوف مستطمة ، أمام (محبدة) ، التى
جلس على عرش من ذهب ، ينتهى ذراعاه براسى
أسدين ، وهى ترتدى ثوبا من حنوط القصة اللامعة ،
وتحوى وجهها نضاع موشى سحوم فضية ، وقد
أحيطت بمه رأسها بدائره من الذهب ، تتوسطها
ياقوتة حمراء ساطعة ..

وعلى الرغم من حشدها الضئيل ، بدت رهرة
(المور) قسوة ، ساحرة ، مهيبة ، وقد وقف حودها
المدحرج بالسلاح خلف عرشها ، فى حين أحاط بها
قوادها وصباطها وقضاها ، فى ثيابهم الرسمية
الأسنة ، وعدد من وصيفاتها فى أبهى حللهم ..

وظالت محاكمنا ، وانكر (القط) النهم الموحدة
إليه ، وتم استدعاءنا للشهادة ، وفى النهاية صدر
الحكم بإعدام (القط) ، حراء حيانه ، ومصادرة
ممتلكاته ، وأن يصح روحته وأولاده عبيدا أرقاء ..

كذلك صدر الحكم على كل من شارك (القط)
فى مؤامراته بالجرد من الأملاك ، والالتحاق
بالجندية ..

وانتهت المحاكمة بين نقيب وعويل المهمين
وأقاربهم ، وأصابتنا الدهشة من أساليب (الأباتى)
وأحكامهم ، وهتف الكابتن مستنكرا :

- أى حير فى أمه يعاقب محرموها بالجندية بدلا
من السجن .

غمغمت محاولا تهدئته :

- هكذا أساليبهم .

هر رأسه فى قوة ، مستنكرا ومعتصا ، إلا أنه
أرم الصمت ، ولم يشر إلى هذا الأمر مرة ثانية ،
حتى حانت الاستراحة ، فتقدمت نحو سليله
الملك ، ووصفت حاتم (طعيس) على وسادة
حريرية ، قدمها لها أحد صباطها ، وأبا أقول :

- أبا سليله الملك ورهرة (المور) .. يشره
أن أعيد إليك حاتمك ، الذى يحمل دلائل التهمة
المتبادلة بيننا ، والذى استطعت بواسطته حمل
زملائى وأصدقائى على اصطحابى فى رحلتى إلى هذه
الجهات النائية ، إلى الحد الذى أوقع بأحدهم فى
أسر وعبودية (الفنج) .

تناولت (محبدة) الحاتم ، وألقت عليه نظرة
سريعة ، ثم أرتته لكهسها . قبل أن تقول في هدوء :
- شكرا لك أن أعدت هذا الكر الأثري العالى
لى ولرعتى أيها الطبيب .

ووصفت الحاتم في إصبعها ، واستطردت :
- أنتم تعرفون قصينا أيها السلاء . . (الفصح)
يحيطون بنا ، وينهددونا بالويل والثبور وعظائم
الأمور ، وكما أحرقت الطيب من قبل ، إيسى اسمى
إلى هدم معبد (الفصح) ومعبودهم ؛ لأن هذا - فى
عميدتهم - نذير لهم بالهجرة من هذه الأرض إلى
بلاد أخرى ، طبقا لنبوءة وثنية قديمة .

قاطمها (أورم) :

- معذرة يا رهرة (المور) ، ولكنك سمعت
مثليا (نارويج) ، سلطان (الفصح) يهدد بالانتقام
لهدم معبده ومعبوده .

ترددت هممه دمر ودمر من الحاصرين . إلا
أن (محبده) طلب على هدونها ، وهى تقول :
- الأثوال غير الأفعال ، وهؤلاء الوثنيون
يؤمنون بالسوءة إيمانا مضطحا ، وسيدفعهم هذا إلى
الهجرة فور هدم معبودهم ، حتى ولو شاء ملكهم
غير هذا .

ثم اعتذلت ، مستطردة :

- والآن . . هل تقسمون على خدمتى ؟
مصت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول الكابتن :
- ينبغي أن نعرف المطلوب منا أولا .
قالت عالية الرأس :

- اقسموا على خدمتى ، والحرب من أجلى ،
والحصوع لفوائينى ، وأن تذلووا أقصى جهدكم
لتدمير معبد (الفصح) ومعبودهم ، ولكم بعد ذلك
مطلق الحرية فى البقاء أو الذهاب حيثما تشاءون ،
مع مكافأة تبهر الأنفس .

ساد الصمت لحظات أخرى ، بدا خلالها أن
الكاشن يفكر فى عمق ، قبل أن يسأل فى اهتمام :-
- واية مناصب سنشغلها لو فعلنا ؟

أجابته فى حزم :

- ستكون القائد الأعلى لهذه الحرب ، وستختار
أنت المنصب الذى يعمل فيه زميلاك .

سرت رمحرة عاضه بين قوادها ، وارتفع من
بينهم صوت يقول :

- أتعين أنا سنضطر لطاعة هؤلاء الأجانب ؟
التفتت إلى مصدر الصوت ، وقالت فى صرامه :
- نعم . . ستفعلون هذا ، إلا إذا استطعتم إعداد

تلك المواد المفجرة واستخدامها ، وعدم جرم من
أسوار (هرمق) مثلهم .. هل تستطيع هذا
يا عماء .

بعد العم (حوشيا) حاجيه ، وصمت في عصب ،
في حين سأل الكابتن الملكة في اهتمام :

— لقد حميتي قائدا على جنودك يا مولائي ،
ولكن احترس ، هل سبطينوسي ؟.. هل يحمل
كل منهم سلاحه ؟.. ثم من هم جنودك ؟

نظمت إليه لحظات في صمت ، ثم اجابت في
حزن :

— لا يمكنني محك جوابا مطعيا ، بالسنة
للسؤال الاول ، سيعود امره إليك وحدك ، اما
بالسنة للسؤالين الآخرين ، فلو اجمع انه كان لحداتي
وامهاتي جنود اشداء فيما مضى ، اما الآن فجنودنا
ضعفاء حياء ، والسلاح لا يكاد يكفي ثلثهم ، وهو
لا يعدو الرماح والسهام والافواس .. و ..

احسق صوتها في حلقها ، حتى انها لم تستطع
إمام حديثها ، ثم لم تلبث ان اعجرت بفتة باكية
وسط محسها ، سمعت الحاويش (كويك) إلى
جوارى يتمتم :

— اللهم عاون هذه الملكة الوحيدة المكوبة
بشمها .

وهنا نهض الأمير (حوشيا) ، واتجه إليها ، وركع
أمام عرشها ، وهو يقول في صوت حمل الكثير من
انفعاله :

— لماذا تحزنين بهذه العنارات يا سليله الملوك ؟
السنا في حمى (سليمان الحكيم) ؟
تمتمت من وسط دموعها :

— (سليمان) لا يحمي إلا من يحمون أنفسهم .
أشار إلى صدره ، قائلا :

— اليس لديك قواد شجعان ؟.. اليس لديك
عمك وابن عمك ؟

غمغمت في مرارة :

— وماذا يفعل القادة بلا جنود ؟
قال في حدة :

— لقد رايت بعينك كيف كنت على وشك دبح
(ناروح) ، لولا تدخل ضيوك البيض .

انفضت في مجلسها ، وقالت في صرامة :
— وكنا مستخسر شرقنا أيضا يا عماء .
ثم رفعت ذراعها في حدة ، هاتفة :

— لقد انفض المجلس ، ولبحصر الكاهن ليقيم
البض امامه .

برز من خلف العرش رجل مهيب الطلعة ، واضح
الوقار ، تلمع تحت لحبته البيضاء الجواهر
والاحجار الكريمة ، ويحمل في يده اسطوانة ورقية
ملفوفة ، كتب عليها كل قوايس (الاباتى) ، مد عهد
(سيمان الحكيم) ، ووضع الرجل الاسطوانة
الورقية اماما ، وطالبا بالغاء القسم ، فقال الكاهن
في حزم :

— قبل ان نقسم ، نحب ان نؤكد ان ولاءنا الاول
لوطننا وملكنا . ثم اننا نريد تعهدا من الملكة
بمساعدة على ابعاد رميلنا الاستد (هيجر) ، وابن
الطبيب (رودريك) ، الذى يطلقون عليه اسم (مطرب
مصر) .

اجابت الملكة بلا تردد :

— لكم هذا .

وعندئذ اقمنا قسم الملكة ..

اعتدنا مع مرور الوقت يوم القيلولة ، الذى
يعدسه شعب (الاناتى) كثيرا ، وفي يوم القسم ،

استيفت في الرابعة عصرا ، على صوت نباح
(فرعون) ، منهت استطلع الامر ، ووجدت امامى
رجلا يرتجف خوفا من الكلب ، فسألته في صرامة :

— من انت ؟

اجابنى في سرعة :

— اننى رسول الملكة ، وهى تسال عما اذا كنتم
ترعون في مرافقتها الى مكان لم تروه من قبل .

وافعته على الفور ، والسميت مع (اورم) و (كويك) ،
ورافعنا الرسول الى فناء مهجور خلف القصر ،
حيث وجدنا الملكة فى انتظارنا ، مع ثلاث من
وصيقاتها ، وعدد من الرجال يحملون المشاعل ، ولم
تكذ ترانا حتى رفعت يديها ، وانتدريتا قائلة :

— لا ريب انكم قد رايتم الكثير فى حياتكم ، عبر
رحلاتكم المختلفة ، ولكنى سأريكم اليوم اعرب شئ
فى حياتكم كلها .

تبعناها الى بهو كبير ، فى نهايته باب صحم ، رفع
الرجال مراليجه ، فعبرواها الى ممر طويل ، منحوت
فى الصخور ، واغلق الرجال الباب خلفنا ، ومصينا
فى الممر حتى بلغنا مغارة ..

بل هى اصحم مغارة رايناها او سمعنا بها من
قبل ..

وقالت (مجيدة) ، وهى تلوح بمشعل فى يدها :
— ها هو ذا كهف (المور) ، الذى نعتقد انه كان
معقل اجداد (الفصح) فيما مضى ، اما هذه الحدران
والاطلال هناك ، فقد كانت محاربهم ومعاندتهم ،
ويكن رلرا لا حطم كل هذا ، ودفعهم إلى الهجره ..

تصاها ثابته إلى أعماق الكهف الهائل ، ومشاعلا
تدو داخله كبحوم خافته ، عاجزة عن تبديد ظلمته ،
من شدة صحابه ، حتى بلغا مكانا به اطلال واعمد
متهدمة وتتوسطه عدة تماثيل محطمة ، معطاه بطعة
كثيعة من الأثره ، لم تحف تماما شكلها النسبه
ب (أبى الهول) ، فتشهد (أورم) ، وقال :

— ليت (هيجل) هنا .

وبعد فادسا (مجيده) إلى سع بتدقيق فى قوة ،
وقالت فى أسف :

— كان (الفصح) يستخدمون هذا الكهف كمحرن
للمؤن ، فى حالة الحصار ، ولقد حاولت إتساع
شمى باستخدامه لهذا العرص ، ولكن كل من
الكار يتردد فى التضحية بعض إتاحة كمحرون ،
وهكذا لم يقدنا شئ من الموت جوعا ، لو احتل
(الفصح) سهولنا .

سارت أمامنا ترينا إسطلالات الخيل ، التى كان
(الفصح) القدماء يحفظون فيها حيادهم وعربائهم ،
ورحبا بمر عدة ممرات ، انتهت إلى طريق واسع ،
فى نهايته جدار أبيض ، لم يكدره اتساع المنكة حتى
علا الرعب وجوههم ، فتقدمت هى إلى الجدار ،
وبرعت منه حجرا كبيرا فى سهوله ، وقالت
لوصيفاتها :

— كلكم تعتقدون أن هذا الجدار يسكنه الجن ،
وتحوم حوله الأرواح ؛ لذا فسايركم هنا فى حراسة
الرجال ، وسأصحب الصيوف إلى داخله ، لآئت
لكم خطأ هذا الوهم .

وتناولت يد (أورم) ، وعرب معه ثمرة الجدار
فى هدوء ، وتعنهما أبا والحاوئش ، فوجدنا أنفسنا
فى كهف أحر ، ترتفع حرارته قليلا ، وسالها الكابتن :

— ما هذا المكان ؟

اجابته فى هدوء :

— مقبرة ملوك (المور) القدامى .

سرت فى حسدى رهبة من وقع الحواب ، ورحبا
سير وسط السكون ، ووقع اقدامنا يبدو واضحا
على الأرض الصلبة ، والحقافيش تحوم حول ضوء
المشاعل مضطربة حائفة ، وترطم بالحدران ، حتى

عزرا المكان إلى ما يشبه ساحه قبال ، في مواضعها
عرش صحم من الحجرة ، اتحت إليه مجيده ،
ورفعت مشعلها أمامه ، قائلة :
- انظروا .

بدت لنا كومة من العظام البشرية فوق العرش
البحري ، يعلوها نوح من الذهب ، وأمام العرش
صولجان وحوائم وحلى من الذهب والمجوهرات ،
وحوله عدد صحم من العظام والحمائم البشرية ،
أسفل كل منها انحنى انحنى كسرس بها أصحابها
في الدنيا ، وإلى حوارها أول من الذهب ، تكتظ
بالحصى والاعلاد والاحجار الشمسية ، وأكوام من
نعود فضية ودعبيه قدم عهدها ، ويطل بداولها ،
ومما رأينا محسده مدعوشين مشدوهين ،
أشارت إلى كل هذا ، قائلة :

- اجلس على العرش هو الملك ، وحوله صباطه
وحراسه وسأؤه ، وقد دبحوا إلى حوار حشته ،
سبهروا على رعبته في الحبة الأخرى ، وهذه
خليتهم ومجوهراتهم .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :
- هيا لنشاهدوا باقي الملوك .



ورفعت مشعلها أمامه ، قائلة :
- انظروا
بدت لنا كومة من العظام البشرية فوق العرش البحري

رحنا سفل من عرش إلى عرش ، ومن كبر إلى
 كبر ، حتى أصابنا السأم من تكرار المنهد ، ولم
 يثر انتباهي سوى أبيه احتشدت بالآب جراحه
 قديمه ، وعلمت أن العظام أنى أمامها هي عظام
 طبيب أحد الملوك ، فملأ حبس بعض هذه الآلات
 انديته ، لمدرستها بالآلات الحديدية ، وشعرت أمحيده
 بما أصابنا من تعب وملل ، فقالت :

— سمود الآن ، ولكن عني أن تعلموا أن هذه
 الصخرة الصخرة أمامنا هي الحاجز الذي يفصلنا
 عن سمود الفصح ، ونحن نحرر عن اجتيازها ،
 ولا نعلم إلى أي مدى تمتد .

عند أدراجنا من العظام والحمائم ، وفي طريق
 العودة سأل الكابتن الملكة :

— ولكن أن تدور مودكم حاليا يا سيدتي ؟
 أجابته :

— في الحارج ، ثم اكشف هذا المكان إلا مسد
 أعوام قليلة ، ولكن ناسسه إلى أتمنى أن أدين في
 السهول ، لأفنى حياتي الآخرة بين الحشائش
 والزهور .

ومحاة أطفأ المنفل الوحيد لدينا ، وساد الظلام
 تمام ..

وسط العور ..

كان موقفا مرعبا نحو ، أن نجد أنفسنا وسط
 الموتى ، في ظلام دامس ، ولقد صاحبت محيدة ،
 مدعورة :

— يا إلهي !! .. نسينا أن نحضر مصباحا آخر ..
 أسرعوا ، فما رلنا بعدد من مدخل الممره .

راحت بعدو ممسكة بيد الكاس ، وانا وأحاربتي
 سخر حنهما ، في محاولة للحد هما ، وسمعا
 الكابتن يهتف بنا :

— انصبا في مكانكما ، سمود إليكما ، ولكن أظف
 صبحه من وقت وآخر ؛ لسعر مودكما في سر .

أجابه الجاوبش (كويك) :

— سنفعل يا سيدي .

تردد صدى الأصوات من حوسا ، فارتجف فلي
 رعا ، وأصق (كويك) صبحه عصبيه ، وهو يقول :

— ليس للموتى أصوات .. إنما هو صدى
أصواتنا .

حاولنا أن نبقى في أماكننا ، كما أمرنا الكائن .
ولكن الرعب لم يتركنا من هذا ، فرحنا بقدوم في
بطء ، وارتفعت قدم الحاووش بحمومة ، وسقط
أرعب ، وأصق صيحه رددت الحدرا صداها ،
فاحسب أناس في رعب ، وحلينا بهت لحظة ،
بدت لنا أشبه بدهر كامل ، فس ان يهتف (كوبك) :
— يا إلهي ! .. لقد سبب أسى أحمل في جيبى
عليه نعت ..

أخرج العلة من حبه ، وأشعل أحد أعوادها ،
ثم شفق مبهورا ..

بعد رايب أمما مدحا ذا درحات ، لم ينه إليه
من قبل ، وعلى أول درحاته ، كانت أمم حيدة .
دراعى الكاش ، الذى انحنى على شعنيها ، وأصق
بهما شمس . وهى تترك رأسها على صدره ، دون
أن يبدو منهما حركة واحدة ، وكأنما استحالوا إلى
تمثالين من الرخام ..

ثم سعل (كوبك) ، وهتف :
— كم يسعدنى أن مثرنا عليكما يا كابتن ..

يا إلهي ! .. هل فددت الملكة وعيها .. دعنى أعاونك
يا سيدى .

التفت إليه (أورم) كالذاهل ، وحدث في وجهه
لحظات في صمت ، ثم بدا وكأنما يستيقظ مع
(مجيده) من سبات عميق ، وهو يهتف :
— لا .. لا دامى لذلك .

ثم نهض يعاون الملكة على الهوض ، وانطلقا جميعا
نجتاز الكهف إلى الخارج ..
وعدنا إلى القصر ..

وقل ان سنسلم لهنوم ، قال (أورم) فى لهجة
حالة :

— يا لها من رحلة رائعة فى غياهب المجهول ! ،
وبالذات من فارق رهيب بين الموتى العدامى ، وسليتهم
المعصية بالحياة والحب !!

بدا لى انه من الافضل ان اواجهه بالموقف بكل
صراحة ، فقلت :

— الواقع اسى قد تصور ، عندما أشمل
(كوبك) عود الثياب ، أنك و (مجيده) كنما ...
ترددت فى إتمام العبارة ، فقال هو فى حرم :
— لم تكن وأهما .. لقد كنت أقتلها ، بعد فخر

الموقف والسلام عواصم المكونه ولم استطع كتمان
مشاعرنا .

لدت بالصمت لحظات ، ثم غمغمت :

— يسعدنى أن ربط الحب بينكما يا صديقى ،
ولكننى أخشى مغبة هذا .

قال كالحالم :

— إنها أحمل عادة وقعت عليها عسى . فى الدنيا
كلها يا (آدمز) ..

لحظتها أيمت من انه لا فائده .. لقد ربط الحب
بينهما ، ووقع وثيقة موتهما ..

وارتجف قلبي بين ضلوعى ..

وهوى ..

٦ - الأسود ..

لم تكد تنتهى من تناول إبطارد فى الصباح ، حتى
أتى رسول انكه بدعونا لمقابلتها . فذهبا إليها .
وحس سماء عن بسر دعوتها بنا . وعندما احسنا
الممر الطويل ، اندى يعود إلى هو العرش . ملت على
اذن (اورم) ، وهمت فى قلق :

— أسخطك بالخالق أن تنرم بكل الحذر
يا رحيل ، وإن تحمى مشاعرك نحاهما الآن .
فسيرا قبون وجهك كما يراقبون كلمائك .

نصرج وجهه قليلا ، وغمغم :

— أطمئن .

تمنعت قلعا :

— كم أتمنى أن افعل .

استقبينا الملكة باسمه النمر . مبهمة الاسارير .
وقالت :

— لقد دعوتكم لسبب هام ، فعندما هممتنا
بإعدام (انطد) الحائى . بصرع لنا أن نمر على
حياته ، حتى يمكنه أن يدلى إلينا بسر هام خطير .
قد يساعدنا على إنقاذ زميلكم (هيجز) .

هتقنا أنا والكاتبين في آن واحد :

— كيف ؟!

هزت رأسها قائلة :

— لست أدري ، ولكنني رأيت أنه من الحكمة
أن أرحى قنله ، حتى تستعما منه إلى ما لديه ،
وأشارت بيدها ، ففتح باب حابسي ، دلف منه
(القبط) ونداه معبدتان حنف طهره ، وقدماه
مربوطتان بسلسلة من الصلب ، واندفع نحو الكنتش
مستعظما ، ولكن الحراس دفعوه أرضا في عنف ،
وقالت الملكة في صرامة :

— ما الذي تريد أن تخبرنا به أيها الحائر ، قل
أن تلقى جزاءك ؟

قال وهو يرتجف :

— إنه سر نال الخطورة يا مولاتي ، فهل اتحدث
به أمام الجميع .

صمتت لحظة مفكرة ، ثم قالت :

— لا .

وأمرت الحراس ومعظم الحاضرين بمعدرة المكان ،
ثم التفتت إلى (القبط) ، قائلة :

— هات ما لديك .

أردرد (القبط) لعانه في صوت مسموع ، وقال :

— الإنجليزى (هيجر) مسجون في المعتد
الكبير .

سأله أنا :

— كيف عرفت ؟

أجاب :

— أنا أعلم هذا جيدا ، واستطيع أبصا أن
أدلكم على طريق حمى إلى المعتد ، يمكننا بواسطته
أن نغدا هيجرا من سجنه . . لقد أظنموا على لعب
(القبط) ، لاسى أنسلو الجدران في حقه ويسر ،
وعندما ألقى الفصح الفصح على ، الفواى طعاما
للأسود ، ولكنى نحوت بمعجزة ، واستطعت
الفرار ، بعد أن أصابى محال لنوة بهذا الحرح
في وجهى .

وراح يشرح ما ينمى عمله ، حتى هف الأمير
(جوشيا) :

— إسى اعترض على أن تعحم ملبكسا نفسها في
مثل تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، والتي قد
تنطوى على هلاك ودمار .

- اشكر لك قلقك على يا عماء ، ولكن إصراري على حوص هذه الرحلة لا يعود إلى رعيتي في إبعاد الأيضي محسب ، وإنما إلى وجود طريق سري إلى معبد (الفصح) ، يسعى لي أن أعرفه ، وعلى الرغم من ذلك فانا أوافقك على ضرورة ذهاني مع حمايته أو حراسه : لذا فانا أرحو أن نراقب في رحلتى .
أربك العم ، وراح تلمس الأعداد والأسباب .
حتى قاطعته هي في حزم :

- لقد سحبت الفرصة لتثيب شجاعتك ومهارتك وحرارك ، أسي طالما تحدثت عنها يا عماء .. إنك سذهب معنا .. هذا امر .

ولم يكن أمامه سوى القبول ..

قادوا الفط ، عصر اليوم بعينه ، عبر ممرات حلبة طويلة ، إلى قمة حبيبه ، تشرف على هوة سحيقة ، يبلغ عمقها الفس وحسماته من تعريبا .
ولا سبل إلى بلوغ قاعدتها - حسيما رأيت - حيث تكرر السهول ، ولكن (الفط) اتجه إلى حدار صخري . سب المنصب فوقه ، وأراح منه حجرا

كسرا ، فكشفت لنا نحوه واسعة ، تمتد إلى ممر طويل ، وهو يقول :

- لقد كشفت هذا الممر منذ كنت صبيا ، وليشمى به من يجد في بعينه الشجاعة الكافية .
فهو شديد الوعورة والانحدار .

راح (حوشيا) ينصرع إلى (مجيده) أن تتنازل عن فكرة حوص الممر ، ولكهب اجابت في عناد وإصرار :

- ولماذا اتردد أو احدى ، ومعا حيره رحالنا في تسلق الحان ، ثم إن الطبيب ، الذي يبلغ عمره مثل عمر أسي ، لم يتردد في المخاطرة ، فكيف أعمل أنا ؟ هيا يا همي .. لا تتردد .

أسطر (حوشيا) إلى رفعتا مرعما ، واتصلت الحال بيت جميعا . وبقدما (الفط) والحاويش .
ثم عدد من متسلقى الحان ، يحملون السلالم والمصاسيح والوفود والطعام وحلافه ، ثم الملكة والسكاشر و (جوشيا) ، وحلفهم عدد آخر من متسلقى الجبال ..

ورحبا بهبط درجا شديد الانحدار ، انحنى إلى آخر أشد رطوبة عند الشرق ، وكاد (حوشيا)

يقتلني ، عندما أنزلت قذعه ، فثبت بدراعيه
في رقبتي حشيه اسفوس . وكذ نفسي حيا ، لولا
أن اسرع أحد مسهي الحمار يبعده عني . فأصررت
أن يتقدمني ، حتى لا تكرر المأساة ..

وعندما سمع المحذر الثالث . كان السبع قد سح
من أحوشا ملعه . وقسم الأ يحضو خطوه واحده .
وفنسب محاولات وتأكيدات (القط) في إنشاعه
بالعدول عن قسمه هذا ، حتى دلت (مجيده) في
حزم :

- لا بأس ، فلتبق في مكانك هذا حتى تعود ،
ولس هذا ما تهتف . فلن بها حرك أبو حوش .
تمتم في سخط :

- يا بك من إمرأه لا قلب لها !! . انتركس عمت
وحيدا ، في هذا الحجر المسكون ، في حين سلعين
أب الصحور كقطه مسعوره . مع جماعه من
الأحاب ؟ .. أما كن يسمى أن تظلي إلى حوارى ؟

هتفت في صرامة :

- ليعار إن سلبه الملوك قد حسب عن الذهب
حيث ذهب الغريباء .. لا يا عماء .. لا والف لا .
لم يسعه إراء حرمها وصرامها إلا أن يعود
لمرافقت ، وإن اصطر منسلقو الحال لحمله طيله

الطريق ، حتى بلغا هضبة صغيرة ، تسلت إليها
طلالع العجر الأولى . وانتشرت في أرحائها أشجار
وأعشاب وطحالب . نمت إلى جوار صحور صحمه .
أشارت إليها الملكة ، قائلة :

- ما هذا أيها (القط) ؟

أجابها :

- إنه طهر الممود انكسر ل (الفصح) يا سلبه
الملوك .. إنه على هيئة أسد صحم ، وديك الممود
هو دبله ، وهذه الهضبة التي نمت عليها كانت فيما
مضى بقطة مراعىة لكهنة (الفصح) . عندما كانوا
يملكون أرض (المور) أيضا . وهناك حشر بهطلون
منه إلى ذيل الممود .

همست (مجيدة) إلى الكابتن :

- يبدو أنه يتصل ب (الفنج) ، عبر هذا
الطريق .

ثم سألت (القط) :

- لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

أجابها :

- لسفد الإنجليزى ، فمن عادة (الفصح) أن

يسمحوا للمسجونين بالتحوال عند الفجر والغروب ،
وأرى أن يهبط إلى ديل المعبود ، حتى يلقى
بالإنجيري وسعده . والأفضل أن يصحبى الكابتن
حتى لا يستريب (هيجز) .

هتفت الملكة مستنكرة :

— أيها الأحمر .. اتصور أن يحاطر الكابتن
إلى هذا الحد ؟

قال (ألفط) في خبث :

— هل تشكين في شجاعته ؟

هتف به الكابتن :

— وبلت أيها الوعد .. إليك أن سىء إلى
شجاعى ، ولكك قد نرمى يدك إلى مكيدة ،
تسلمنى بها إلى (الفنج) .

صاحت (مجيدة) بالكابتن :

— من الجنون أن تلقى بنفسك من الجبل ،
وانت توقن بأنك ستتهشم أرضا ،

قال عمها في لهجة ساخرة :

— ولكما سمعا الكثير عن شجاعه الأجانب ، فلم
لا تمنحينهم الفرصة لإثبات هذا ؟

انتفعت إليه نائرة حائه ، وقالت في حدة :
— اليس من الأفضل أن يثبت صاحب الدم
النيل أنه لا يحشى إتيار ما يقدم عليه العرباء ؟

شحب وجه عمها ، وانكمش على نفسه في خوف .
فانسم اأورم ، في سحر به . وانحى برع حذاءه .
وهو يقول :

— إبنى افصل اسير ، حورب ، فى المصاص
الوعرة ، ولا يصممكم امرى . فلعدا اعتدت المحاطره
مند صباى .

غمغمت الملكة في قلق :

— ولكن هذا يفوق كل ما فعلت بالتأكيد .

أما الحاوېش كويك ، فعد انحى بجمع حذاءه
بدوره ، مما جعلنى أسأله في دهشة :

— ماذا تفعل ؟

أجابنى في حسم :

— سأرافق الكابتن .

قلت في عناد :

— بل سأرافعه أنا . فليست افنكما أسنهما
بالمحاطر .

فاطمتنا الكابتن صائحا :

— كفى .. أنا القائد هنا ، وستطيعان أوامري
بلا مناقشة ، وأنا أمنعكما من مراقبتي .
قالت الملكة :

— فليرافعك أحد متسلقي الجبال إذن .

والتفتت إلى أحد رجالها ، قائلة :

— تعال يا (جانيت) ، ورافق السيد ، وأمدك

أنا أهبطك أو أهببك ، ورتبك قطعة أرض كسره .
لو أدبت مهمتك كما ينبغي .

أعينا سينا من الحبال إلى دبل الأسد نحجري .
ورحب استطاع المظفة بمظري المغرب . حتى لاح
في سحبت أسن عند رأس المعود . ورحبت أن يكون
هجر . إلا أنه لم يستأن رفع عميرته من
شجى وخيم ، جعلنى أمتف في انفعال :

— إنه ولدى .. حمدا لله .. إنه لا يزال حيا ..
آه لو نستطيع إنقاذه أيضا !!

وسأب الدموع على وجهي ، فربت أحاسني
(كويك) على ظهري ، وهو يقول :

— اهدأ أيها الطبيب ، ولحمد الله على أنه ما زال
يحمل رأسه على كتفيه .

ويبدو أن تهدئه هذه لم تروا القطر . وقد
قال في برود :

— أيها ساعه إطعمم الأسود المقدسة الآن .
و (الفصح) يحفظون بها داخل معبره . عند قاعدة
المعد . ولابد أن يعمل على إيقاظ الأسد اللله .
فسيحتفون بعبيدهم . وسيدمونه قربان لألهتهم
عندما يصبح القمر بدرا .

والها وحاول أن يهبط سيم الحبال ، ولكن (محمده)
صاحب .

— لا .. لن يعود هذا الخائن إلى أصدقائه
رافع .. أولئك أولئك الحافض . وسيسعك
الكابتن .

رافعا (حافض) في فلق ، وهو يهبط السلم ،
منحسبا مواضع قدمه في حذر . حتى بلغ الصحرة
المشردة . وهما استدار الكاس بصامحن وبصامح
الكويك . ثم انحنى للملكة . التي شجبت وجهها .
وبدا اضطرابها وجهها وأصحب . وهي ترد تحية
(أورم) . الذي اتجه إلى السلم وراح يهبط في
شجاعة وثقة ..

ونجاة انكسرت درجه السلم ، التي بصع ثقله
عليها ..

وهوى من حائق ..

كانت لحمة وثبتت منها قلوبنا من سن صلوعنا .
ولم نثب منها الملكة المحنة بفؤاد مرقه الهلع وأدمه
اللوعة ، وبدا لنا جسمنا أن (أورم) قد انتهى ..
ولكن شاء له القدر أن يحيا ..

وبحركه سريعة ، دفعه إليها غيرة البقاء ،
قربت يده فعلق بدرجة سليمة من درجات السلم ،
وبشئت بها في موة ، وراح يلهث من مرط الانفعال ،
في حين سمعت من الصعداء ، ونهيت لو لم يلحظ
أحوشنا دموع الأرباب والسعادة ، التي سالت
من عيني الملكة ، ولكن رهرة (المور) لم تلبث أن
حمت دموعها في سرعة ، واعتذرت في وقعتها في
جسم ، وهي تواصل مراقبه الكائن ، الذي بلغ
موضع (حامت) ، ما حنصنه هد الأخير في سعادة
واضحة ، وراح الانفال بسلمان المنحدر الصحري
الأمس ، حتى بلغا كنفى الأسد ..

وفي تلك اللحظة ظهر الأسد (هجر) ، وهو
يسير الهوينى وبدون شسنا ما في مسكرته ، بكل
السلطة والهدوء ، وهما تقدم إليه (أورم) ،
وأمسك ذراعه في قوه ، فالتفت إليه (هيجز) ،
وحدث في وجهه في دهول ، ثم أمحنى الكائن على
أذنه . ورأته مهمس بأمر ما ، علمت مبها بعد أنه

كن سؤالا عن موضع أسي (روبرك) ، ثم رأت
الأسناد بلوح بيده في أهدم ، ويخفى خلف رأس
المعبود ، ومحت دفاق من السكون ، ثم نهأت إلى
أسماعنا أصوات وصيحات عالية ، ورأيت الأسناد
يعدو بكل قواه صائحا في الكائن و (حامت) :
— اهربا .. أنجبوا بنفسيكما من هؤلاء
المفوحشين .

أسرع الناس و (حامت) بسلمان السلم
ورأى الكائن بعض (المبح) بسلفون حلمها ،
مأجرح مسدسه ، وأطلق النار على رموس بعضهم ،
فسقطوا صرعى ، ورأى الناقور مصرع رملائهم ،
فلادوا بالفرار ، وهم يظلمون صيحات محنة ..
ولم يكد الكائن يصعد إلينا حتى انقضى بمسه
أرضا ، وأحنى وجهه من يديه في ألم وهراره ،
مرسب ، محددة ، على كنبه ، وغالب في حنان :
— لمأدا يا عربري !! .. لقد كنت شجاعا
صنديدا ، وعدت إلينا حيا ، وهذا يكفى .
هتف في مرارة :

— ولكني ركب أحن وسديمي (هيجز) حلمي ،
وسلفوني الليلة للأسود ، ولقد أحرمني هذا
بنفسه ، وكان يكتب وصيته عندما لقيته .

لم تحدد ما تحببه به ، ما لتنت إلى مسلق
الجبال ، وقالت :

— إني محوره بك ما ، حاميت ، وسأحرل لك
العطاء ، وأجعلك قائدا لتسلكى الجبال .

تهللت أساور (حاميت) في معادة ، في حين
سالت أنا الكابتن :

— ماذا حدث مع (هيجز) ؟

أجابني والحزن لم يفارق صوته بعد :

— لم أكد ألقى بأهيرا حتى سأله أن يرشدني
إلى موصع ولدك ، ولكن الحراس راوه بحدوث
إلينا ، فكان ما كان .

ثم التفت إلى (العظ) ، وأمسكه من عنقه .
قائلا في غضب مخيف :

— والآن حذار أن تكذبنا القول أيها الوغد .
لعد أحرسا أنهم قد اتفكوا طعاما لأسودهم ، ولكنك
نجوت ، فكيف كان هذا ؟

هتف (القط) في صوت مختق :

— أرمع بك عن عيني ، وأقسم أن أحرك سلك
ما حدث .

ترك الكابتن عنق (القط) ، الذي سعل في شدة ،
ثم أجاب :

— لقد حملني (الفصح) إلى مكان إطعام الأسود .
والتقوني من اللحوم المقدمة بها ، ثم رمعوا أسوار
الأسود مسلاسل تجذب من أعلى ، وأطلقت أنا
أعدو نحو التلال ، في محاولة لسيحاة ، ولكن أية
بمعنى ، وصممتني على وجهي بحالها ، التي برمت
في وجهي هذا الأثر ، ودمعتني جيور الرعة في الحياه
إلى أن ألقى بسبي في الهاوية ، فرحت أبحر بها .
وأنا أشتيت في جدارها بأطامري ، ولكن النبوة
اللعمنة أمسكت ساقى ، وحدثني بحالها وأسابي
إلى الخارج ، ثم تراجعت لثب على مرة أخرى .
إلا أنني رأيت حامة نائمة باررة ، على حاسب أهوه ،
ممرت إليها معه ، وأردت التعليق بها ، ولكنها
انهارت بحب ثقل ، وهويت إلى سرداب مظلم ،
بقيت فيه بهارس ولباس ، حتى عثرت على طريق
للفرار .

رحنا ندرس الأمر طبقا لروايته ، واستقر راجعا
على أن يهبط الكاس والحاوش وبعض مسلمي
الحبال ، إلى حيث يحتفظ (الفصح) بأسودهم ، وأن
يرامتهم (حاميت) ، الذي بطوع باصطحابهم ، وأنا

أمع أنا والبقية الباقية من مسلقى الحال عسد
 بهانه السليم ، حتى إذا ما حان موعد إطعام
 الأسود ، أعددتنا صادقنا ، وتأهبنا للقتال ..

وفي اللحظة المشوذة ، ارتفعت نسي ، وأسا
 أشاهد تلك السلة اللعينة ، التي محوى طعام
 الأسود ، والأسناد ، هبجز ، وهي تهبط إلى حيث
 الأسود ، التي صم رثرها الآن ، وهي شتم رائحة
 الطعام الأدنى الطازج ..

ولم يكد السلة تلمس الأرض ، حتى وثب منها
 أ هجر ، وبدا لحظة وكأنها سيطلق مسافيه للرياح
 مرارا ، إلا أن كراميه — على الأرجح — قد منعه
 من ذلك ، فقد توقف معه ، وعقد ساعديه أمام
 صدره ، بعد أن أرحى قنعه على وجهه ، ووقف
 ينتظر هجوم الأسود في بسالة ..

ورمع (الفصح) باب معارة الأسود ، التي هبت
 لالتهام قريستها ..

وفجأة انهالت عليها رصاصاتنا ..

وأصبت الأسود بالدهول ، متراحمات في دعر ،
 في حين قرر (حاميت) إلى حيث الأسناد ، وجدده



وفجأة انهالت عليها رصاصاتنا ..
 وأصبت الأسود بالدهول ، متراحمات في دعر .

إلى حيث السليم ، مأمق (الفنج) من دهلهم .
 وانطلقوا بعدوا حلمه ، وقد حو جنوبهم لصباغ
 قربان الآلهة ، ونكر رصاصات سادقنا أعادت إليهم
 صوابهم . وحملهم يحتنون كالغمران المدعورة .
 حتى عاد إلينا الأسعد ، ونحوها جميعا في ليلة عند
 معبود (الفنج) . .

وبا لها من ليلة !!

* * *

٧ - مفاوضة . .

على الرعم من فرحتنا باستعادته (هجر) ، فل
 قلبي يحمل الكثير من الحزن ؛ لأننا لم نستعد ولدي
 (روبريك) ، الذي ظل أسيرا لدى (المسح) ، ولقد
 جلس (هجر) بينما اشعلت أشعر ، مهلهل النيب ،
 وأحرج غلبوه ، الذي ما زال كمطاره سلما
 صالحا . على الرعم مما مر به من أهوال ، وراح
 يحشو العليون بعض ما أعربه إياه من سم ، وراحت
 (محددة) تتطلع إليه في دهشة وحيرة ، وكأنها
 لا تصدق أن هذا الرث صديق لنا ، في حين سألتني
 هو مهورا :

— من هذه الحسناء الفاتنة ؟

أعربه أنها الملكة ، موقف احراما ، وهم ملع
 قسعه على نحو غريزي ، ثم لم يلبث أن أسسه إلى
 أنه قد مقدها في مبعته ، مراح يحدث معها ملعه
 عربية نصحي أدهشتها وأثار إعجابها . فرمعت
 حاجبها الجميلتين ، وغمغمت :

— نهشاتي بنجارك أيها العربي ، لا ريب أنها
 كانت تجربة شاقة .

هز رأسه مؤمنا ، وقال :

— شمة للعابه . وأنا عاجز في الواقع عن
الشكر والاعتراف بجميل هؤلاء الأصدقاء .

والتفت إلى مستطردا :

— وأظنر بالنسبة لوادك يا (آدم) فهو في
خير حال . وبعد أصبحنا صديقين حميمين .
وسيروح ابنه السلطان (ماروس) . وهذا
السلطان طيب القلب ، كريم النفس . ولقد أعزمت
متيرا على إلقاء القبض للأسود . ولكنه عجز عن مواجته
سلطوه كهذه المعبود . وقد سمح لي بدراسه
شعائره الدينية ، و ...

قاطعته في لهفة :

— وماذا قال ولدي ؟

أجابني في بساطة :

— لقد أسعده كثيرا أن نعلم أنك تسعى إلى
استعادته ، وآله ان تلقى كل الهوى والتعذاب في
سبيل هذا . وهو شاب وسيم جميل . ما زال يحيد
الإنجليز . وإن عشت عليها لهجة (المسيح) ، وهو
الآن رئيس مربي التلاميذ الممجد . وسيروح ابنه
السلطان مثل اكتمال القمر في الشهر القادم بليلة

واحدة ، وستقام الاحتمالات في (هرق) . وكنت
أتمنى حضورها ، و ...

قاطعته مرة أخرى :

— وهل يحب هو ابنه سلطان (المسيح) هذه ؟

هز رأسه ، مجيبا :

— إنه لم يرها في حياته كلها . ولكنه سمع عن
جمالها وبساطتها . ولعل أسط مزايا هذا الرواح .
أنه سيضمن عدم إلقائه إلى الأسود .

اكتفبت منه بهذا القول . الذي جعلني أنام ليلا
قريب العرس . حتى انقطعت (هجر) في الصبح ،
وهو يقول :

— انفض أيها الكسول ، وحدثني بكل ما لديك
عن رهرة (المور) . لا ترى معنى أن لعنوها
سحرا عسفا ؟

جلست على فراشي قائلا :

— دع مشكلة سحر عينيها هذه لكائن الأورم .
فهو يحبها .
هتف :

— محبها ؟! .. إنني أمنحه كل الحق في هذا .
فلو أنني في مثل عمره . لعرفت في عشيقها حتى
أذني .

قلت في قلق :

— احشني ما احشاه انهار قد وقعت في حبه
بدورها ، وقد معرضهما هذا للقتل . مهو يحالف
تواعد (الأباتي) وعقيدتهم .

هز رأسه متفهما ، وقال :

— يبدو لك على حق . . سمححت إليه في الأمر
جديا ، فانا في مثل عمر والده تقريبا .

قلت في انفعال :

— ملك ، ولكن حذار ان يسه محبده ، إلى
هذا . . حذار . .

دعيت الملكة إلى مجلسها الكثير مرة أخرى هذا
المصر ، ولم يكد يذلف ، حتى فتحت أبواب صحبه
في بهايه القاعة ، وتقدم عندها ثلاثة رسل من
(اميج) ، يذلف أحياهم النقص على ملائمتهم
الناصعة ، وهم يبحثون في أدب حم أمم (محبده) .
التي استدلت بمائها على وجهي . دون ان يعصروا
(حوشيا) أو الكهنة أبة عباة أو اهتمام ، ورمعت
(مجيدة) كنها ، قائلة :

— تكلموا .

تقدم أحدهم خطوة ، وقال :

— أيا سلبلة الملوك ورهرة (المور) . . إنني
أحمل إليك رسالة شفهية من مسلماتنا العظيم
(بارونج) .

قالت في هدوء :

— هات ما لديك .

اعتدل وقال مرددا كلمات سلطانه :

— يا « أم النجاشي » . . لقد استعيت بالعرباء
للحاق الأذى بمعبودنا (هرمق) ، وأنا حاديه ،
ولقد قتلوا بعض جنودي ، واسترعوا من المعبود
قربانه وصحبته ، وقتلوا بعض أسودنا المقدسه ،
وعندنا من كهنة (هرمق) . كما ألقى بعض
حواسبي أنك تدير شرا لمعبودنا ؛ لذا فأننا
أبلغك أنني سأبذل (الأباتي) عن آخرهم ، بعد
هذه الأعمال ، وبعد أن أنقبت عليهم طويلا ، ولقد
أحلت زواج أننى من (مطرب مصر) بسبب
أحراني لما حدث ، ولن يذهب حرمي ، وتزوج
أننى ، ويرتد حساسي إلى حرايه ، إلا بعد أن أثار
لمعبودي ، ولا أننى على أثر لـ (الأباتي) ، ولتطلى
أن المعبود (هرمق) قد نسا بعد مصرع وحوشه ،
وعلى لسان كهنة ، أن راسي سيرقد على سهول

(المور) ، قتل موسم الحصاد ، وهذا يعنى أنى
 أو من يجلسى مسام على أرض (المور) قتل أن
 يأتى الحصاد ، وأمامك الآن أحد خارس ، إما أن
 تخصصى لى ، فبسلم (الأمانى) جميعا ، فيما عدا
 (حوشيا) ، وعشرة آحرس ؛ لأنه حاول أنسالى
 بأسلوب لا يتفق مع الشرف ، ولأن الأحرير
 لا يستحقون الموت بالسيف ، أو أن يتأوى ، فلا
 يسعنى إلا أن أقتل كل رجلك ، عدا العرباء ، وعدا
 (حاشيت) ، الذى استحق إحرامى وتقديرى ، لما
 أتته من حرابه ، واستهانته بالموت ، وفى الحالة
 الأخيرة ستسمى كل نساء (الأمانى) ، فيما عدا
 (أم الحاشى) ، ذات القرب الكبير .

أنهى الرسول من بلاوة الرسالة الشفهية ،
 وصمت بسطر الحواب ، فأدارت (محبدة) عينيها فى
 وحوه مجلسها ، وراة الرعب المرتسم عليها ،
 فقالت :

— ما رأيكم يا رجال مجلسى الموقر ؟ .. لست
 أحب أن أعود بحواب يعنى مصر شعب بأكمله ..
 ما رأيك يا عمى (حوشيا) .. أقتل أن بضحي
 مرأسك ورعوس عشره من القادة ، فى سبيل السلام
 بيننا وبين (الفنج) ؟

هتف (جوشيا) مستنكرا :

— اقترح ملكه البلاد أن يشق عمها ، والأمير
 الأول لبلادها ؟ .. هل توقع العشرة الأحرور أن
 يسمعوا هذا القول ، من شففى مليكتهم ؟

أجابته فى هدوء :

— لست اقترح شيئا يا عماء ، وإما أسالك
 رأيك فيما يعرضه سلطان (الفنج) .

صاح فى غضب :

— أجيبه عنى وعن العشرة الأحرير ، وعن
 كل (أنسى) ، أما برخص هذا العرض ، وأما
 مستقبل (الفنج) ، وسيدهم ، وبهدم معبودهم
 ومعبدهم على رعوسهم ، ليمهد بأحجاره طرقنا وسبى
 معابدنا .. هل يسمعون يا رسل (الفنج) ؟

مظلموا إليه فى استهزاء واردةاء ، وقال كبيرهم :

— نعم .. نسمع ، ويسرنا أن نسمع هذا
 القرار ، مشعنا بحب الحروب ، وبمصلح جسم
 خلائنا مع الأحرير بحد السيف ، ولكن عليك أنت
 أن تعجل بالموت ، قبل أن نحتل (المور) ، فمالشعة
 لسيف وسيله الموت الوحيد عينا كما تعلم .

شحب وجهه وهم يحضون للملكة ، وسعادرون
المكان ، وصاح غاضبا :

— هل ستسمحون لهم بالانصراف ؟ .. لابد ان
مقتلهم بعد ان هددوا واهانوا امير بلادكم .

ولكن احدا لم يرمع يده إلى رسل الفصح ،
الذين قادروا المكان حاملين القرار ..

قرار الحرب ..

* * *

لم يكدر رسل (الفصح) سعادرون المكان ، حتى
ساده صمت ثقيل رهيب ، يحطم مخدة حطية أحدثها
حديث رجال (الآبائي) المخلط ، حيث راحوا
بمحدثون جميعا في آن واحد ، دون ان يصفى أحدهم
إلى ما يقوله حاره ، إلى ان برز الكاهن من وسط
الجموع ، وهيب يدعو الجميع للصمت ، ثم راح
يعلن اننا نحن سبب ما اصاب (الآبائي) الدين
عاشوا عمرهم كله في سلام ، حتى لدعنا نحن
جيراننا (الفصح) ، واثقلنا سيران العصب في
نعوسهم ، مثاروا وماجبوا وماجبوا ، وقرروا
القضاء على (الآبائي) بلا رحمة ..

وفي نهاية حطيته الحماسية العاصية ، اقترح
ترحيلنا من (المور) ، حتى يستتب الهدوء من جديد .
وعندئذ شاهدت (حوشيا) بهمس تأمر ما في ادن
أحد اتباعه ، الذي لم يلبث ان صاح :

— لا .. لو اننا طردناهم ، مسهرعون إلى
(بارويج) ، سلطان (الفصح) ، بعد ان سبروا
اعوارنا ، وكشفوا أسرارنا ، وصار بمقدورهم
امنعلالها ضدنا .. يجب ان نعدمهم على الفور .

ثم حرد حسامه في رهو ، مقمّر إليه الخويش ،
وصرب رأسه بكعب مسندسه ، وهو يقول في
صرامه .

— أعد سيفك إلى غمده أيها الوغد .

ولدهشسا اطاعه ابرحل في حروف ، مادمعت
الملكة تقول في أنفعال :

— يا للعار !.. يا للخسة والندالة !.. هؤلاء
مسيوق ، يركوا أوصافهم ودويهم ، وهوا لمساعدنا
وخدمنا ، مهل ساعنتهم على هذا بالقل !.. ثم
ما الذي يحدثه هذا !.. إن الحل الوحيد لنجاتنا من
هد الموقف ، هو أن نهدم معبد البيع ، ونعودهم
على رعوسهم .. ونصبوا أن سلطان الفئح ،
على ابرعم من عدائه لنا ، رجل شريف ، يحرم
الشحابة والشحمال ، وسنصاعف بعفته علينا .
لو علينا من يحمل لهم كل الاحرام . ولن نعطى
عصيه حديدك — إلا الفصاء على شفتيك .
ولو وامنم على امراح مل ابرر ، مسبارل من
عرشي ، ولتتخبوا ملكة غيري .

صاح احد رجالها في جزع :

— هذا مستحيل !.. انت آخر السلالة
النسلة .

قالت في حزم :

— احاروا واحدة من دم غير سل ، او اسخوا
ملكنا بوامي على ذبح الصيوف ، وإهدار شرف
(الاناس) وكرامتهم ، واحتمال هذا العار إلى ابد
الابدن .

دمعت كلماتها الخوف إلى نفوس اعضاء
مجلسها ، فسألها أحدهم في قلق :

— ما حل المشكله في رأيك إذن يا أم البعائثي ؟

رفعت مقابها ، وألفته على رأسها ، وهي تقول
في صرامة :

— الحل الوحيد هو أن تؤلموا حبشا جرارا ،
ببصم إليه كل قادر على حمل السلاح ، وليساعدكم
الغرياء ، ويفودكم إلى النصر ، وإلا ملنقلوا بالدمح ،
وبال مروا بساعكم سيايا ، وإن يمحي اسمكم من
سجل الشعوب .

صاح أحدهم ، وقد ملكه الحماس :

— كلا .. كلا .

هتفت بحماس أكبر :

— انقدوا أنفسكم إذن ، فما زال عددكم كثيرا ..

ترودوا بالشحاعة مرة واحدة ، ومستجدون انكم
قادرين على احتلال (هرمق) نفسها قتل الحصاد .
ثم نهضت ، وعادرت المجلس في عطية ووفار ..
وتركت القرار الأخير لشعبها ..

انتهى قرار (الأباتى) إلى أن ننتى على رأس
جيشهم ، وأن يطعموا أوامرنا الحربية ، على أن
يكون لهم مجلس من القادة معنا ، له رأى استشارى
محسب ، وقد أنسناهم رعيهم من القتال كوننا
قريباء ، لا ننتى إلى وطنهم بصله ..
وبدأت مهمة تكوين الجيش ..

وكانت أشق مهمة بذلهاها في عمرها كله ..

لقد كان (الأباتى) قوما رراعيين ، لا يمتون
للحرب والقتال بآبة صلة ، ولقد اعتبروا جميعا
للجيش أمرا رهيبا ، فراحوا يرشقون بالحجارة
من نواخذ منازلهم وأكواخهم ، ونحن نجتمع الجيش ،
حتى لم نستطع جمع أكثر من خمسة آلاف رجل بشق
الأنفس ..

وكانت مهمة (كويك) الأساسية هي أن يعاون
الكاش طوال ست ساعات يوميا ، على شق

سرداب من نهاية مقبرة أجداد وملوك (الأباتى) ،
وأسفل الصحرة الضخمة التى تفصله عن المعبود ،
وحتى التمثال نفسه ..

وكانت مهمة شاقة بحق ..

بل هي مستحيلة ..

ثم تدخلت العناية الإلهية ، وعثرا في أثناء حفر
السرداب على نفق قديم ، شديد الانحدار ، يوصلهما
إلى هدمهما ، ولكن الرلزل القديمة كانت قد ردمت
جرا منه ، وكان عليهما رمع المسحور ، إلا أن
الكابتن قال للملكة :

— أحشى ما أحشاه ألا يؤدي بنا هذا إلا إلى
مغارة الأسود ، ثم إنه سيصاح إلى ما يقرب من
سنة أسابيع لرفع الصخور والأنقاض ، في حين
أنى لا أميل إلى فكرة هدم المعبد والمعبود هذه ،
فهما جزء من جبل شاهق شامخ ، وأشك في أن تنجح
متمحراتنا في نسفه ، والرأى عندى أن نجتمع جيشا
من (الأباتى) ، ونهاجم مدنه (هرمق) في أثناء
احتمالات عيد الحصاد ، فلو أمكننا هدم أسوارها
وأوابها فسنستطع مهاجمة المعبود ، وهدم المعبد
من الداخل .

استمعت إليه (مجيدة) في اهتمام ، وصمت
طويلا مفكرة ، ثم هزت رأسها ، وقالت :
— سأستشير مجلسي ووزرائي .

قصت ليلها يستشير قادتها ، ثم أنت تقول في
سحرة مبررة :

— يقول أعضاء مجلسي الموقر إنها مكره طائشة ،
ولا سبل لتحقيقها ؛ لأن (الآتني) لا يلعبون بأنفسهم
في الهلكة عسنا ، ثم إنهم يرون أن هدم المعبد
والمعبود هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء صراعا مع
(المنح) ؛ ولذلك فهم بأمرؤكم يهدم المعبود والمعبد .
نطلعا إليها في دهشة لعبرتها الأخيرة . فصارت
في مرارة :

— نعم . . إنهم بأمرؤكم ولا يرحوبكم ؛ لأنهم
يعسروكم في خدمتهم لمدة عام كامل ، كما أقسمهم ،
وفي هذه الحالة يحسم عليكم طاعة أوامرهم ، مهدا
ما يستألون عليه أجرهم .

بدأ العصب على وجه الكس ، فاستدركت في
سرعة :

— هذا ما قرره المجلس ، وما أعلمه نيابة عنهم
الأمير (جوشيا) .

احتقن وجه (أورم) ، وقال :

— وهل هذا رأيك أيضا يا سليلة الملوك ؟
نفهت وقالت :

— ليس أمامي سوى هذا ، ما دام (الأباتي)
يرفضون القتال .

رأى الصمت لحظة ، ثم قال الكابتن :

— لا بأس يا رهرة (المور) . . سيدل قصارى
جهدي ، ولكن لا تلوموا إلا أنفسكم ؛ لو أنهى الأمر
على خلاف ما تحبون ، فالسوءات سلاح ذو حدين ،
ولست أنصور شعبا مقابلا ك (الفبح) يعادر ملاده
هكذا ، بعد هدم معبده ومعبوده ، مهما قالت
سوءاته ، دون أن يهدم ملادكم موق رؤوسكم . .
ولكن ليكن ما شاء مستشاروك الشجعان .

صمت لحظة ، وكأنها يدرس الأمر ، ثم أصاب
في حزم :

— أريد مائتين وخمسين من مسلقي الخيال ،
تحت قيادة (حاميت) ، الذي عليه أحبارهم بنفسه ،
وسأولى مع الحاربش (كويك) ، أمر المفجرات ،
ومد الأسلاك في السرداب .

أجابته :

— ستحصل على ما تريد .

لم نكد نتصرف من مجلسها ، حتى سمعنا
(جوشيا) يقول :

— لقد ظهر الغريب على حقيقتهم .

استدار إليه الكاش في حركة حادة عنيفة ،
جعلته يتراجع مذعورا ، في حين صاح الكاشن :

— حذار أن ينتهى الأمر إلى أن تظهر انت على
حقيقتك يا (جوشيا) ، فهى أقل مما تتصور بكثير .

لم ينس (جوشيا) محرف واحد ، ولم يحرز حى
على الاعتراض ، وإنما انسحب وهو يهمهم مصارات
غاضبة منه ..

ومعنا نحن إلى العمل المتصل ..

كان الكاش والجوايش يتفاوضان العمل ليلا ونهارا
في السرداب ، وكلينا (مرعور) الصق بالكاش من
ظله ، في رواجه وغدوه ..

ثم حدث ما كنت أخشاه ..

وكانت تقع المأساة ..

كان ذلك ذات ليلة ، حرج فيها الكاش يلتمس
معص الراحة ، من عناء العمل في السرداب ، وعهد
إلى الاستاذ بالإشراف على العمال بدلا منه ، حتى
يأتى الحاويش (كويك) لتسلم نوبتيته ، وكنت أنا

مشغولا بإحباط عصيان بعض صغار الملاك من
الجنود ، الذين فروا من الجندية إلى حتولهم ، لبيع
محصولاتهم ، وبعد أن انتهت الملكة من معاقبتهم
سارت معى الهوينى ، حتى التقينا بالكاش ، فأمرت
حراسها بالعودة إلى القصر ، وسارت جنباً إلى
جنب مع (اورم) ، حتى احفيا في أحد الأركان ..

وحلست انتظرهما في بقعة بعيدة ، وقد شرد
فكرى في ولدى الأسير الحبس ، حتى تناهى إلى
مسامى وقع اقدام مسئلة حدره ، ما شعلت عودا
من اعواد الثقاب ، لسقط الضوء على وجه أحد
خدم الأمير (جوشيا) :

ووجدت نفسى ارتجفه ..

واتساءل : اكان ذلك الحادم في طريقه إلى حيث
(اورم) و (مجيدة) ، أم كان عائدا من هناك ؟!

وبكل توترى صحت به :

— من أنت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟

هتف في انزعاج :

— الطيب ؟!

ابطما عود الثقب في تلك اللحظة ، ولم أكد
اشعل آخر ، حتى كان الخادم قد اختفى ، وكأنها
أنشفت الأرض وأبلمعه ..

ولم أخطر الكاس أو أملكه بها حدث إلا أنني لم
أستطع كتمان محووق عن (هجر) ، الذي عقد
حاجبيه طويلا مفكرا ، ثم قال :

— أعلت ظلي أنهم سيحاولون قتل الكاس ،
ومن الضروري أن نحذره من اليوم بفرده .

كان هذا في المساء ، ولم نكد تشرق شمس
الصباح التالي ، حتى طرق (كوك) باب حرمنا ،
وهو يقول في انزعاج واضح :

— الكابتن يريد رؤيتكما .

سأله (هجر) ، وبحر نريدي شيئا على محل :

— ماذا حدث ؟

أجابه (كوك) في اقتضاب :

— سترين بنفسيكما .

قطعتنا شوطا طويلا في السرداب المظلم ، حتى

بلغنا اطلال معبد قديم ، ورأيت على ضوء الصباح
الذي أحبله شمس الكس ، وهو يحسن مصباحا
آخر ، وإلى حواره جلس (مرعوس) بهر دسه مرحبا
بنا ، وتتم الكابتن في خفوت :

— اتبعاني .. سأريكما شيئا .

قادنا إلى حجرة حاسبه ، أمام منها مرآته ،
وأشار إلى شيء محاور للمرئى ، قائلا :

— انظروا .

بذمت لنا حثه رجل قتل . وإلى حوارها حصر
ضخم ملوث بالدماء وتعرضا على الفور ذلك الفصل ،
وهتفنا في صوت واحد :

— (القط) ؟!

قال الكابتن في حزم :

— لقد سئل ليفيلس ، ولكن (مرعوس) ألتفه
إليه ، وأعطى ساحة ، منحوت من الموت بأعجوبة .
وأشبهك مع (لقط) ، واضطرب لقلبه .

غمغم (هيجز) :

— لقد نال جزاءه ..

ولم يكف الحمر بمساهي إني (محبدة) ، حتى
 هزعت إليها حزعه مدعوره ، وتنمها (حوشيا)
 متظاهرا بالخزع والبعاطف ، وإن لم ينس أن يرمق
 (فرعون) بنظرة قاسية فاقمة ..

ولم يكف ببطره للأسف ، معي مساء اليوم
 نفسه مات (فرعون) ..

مات مسموما ..



مدت لها حنة رجل قتل ، وفي حوردها حمر صحم مموث بالدماء
 وتعرفنا على الفور ذلك القتل ..

مد دثر الحادث أحاصبا الملكة بحبه مختاره من حراسها لأوماء ، وبرعانه نفسه ، حتى إذا لم يكن يحيطو حصوه واحده من دون الحراس ، وحتى طعامها وشراب لم يكن ساواها من ان يدوتها شخص مسئول ، حتى لا يكون مصيرها كمصير (فرعون) المسكين ..

وكان أكثرها صقلا وسرما تلك الحراسه المكنفه هي المسه نفسها ، وكذبت الحراس ، وعلى الرغم من ان الحراسه بكل الا تقطع رقبتها في أثناء اليوم ، والا يلقى بحب عالم ، إلا انها في الوقت نفسه تصنع عيونا بصعب يحاورها ، بالنسبه تلك العاشقين ..

ولكن هذا لم يمنع من حدوث بعض الحوادث الغامضة المثيرة للشك ..

معدما كانا نحن ذاب مرد - عند سطح ليل ، هوب عوفنا صخرة صحبه ، ذادت مسحقنا سحبا ، لولا ان ارحمت سبوء صعب في هبوطها ، مما حرم مسارها ، وتحونا باعوبة ..

ومرت أخرى ، سقطت عليها بعض اليرباع ، ونحن نحس في العاصف ، وعلى حواء ، عطر ، مصه عه ، إلا أننا لم نجد أثرا بخوف واحد في الأدغال كلها ..

وددت يوم ، هرج را ، عني إلى قصر أبي ، ولا إلهة من بر من العاصف ، سارت من مسخور العريه ، على مسره عده كيوهيرات ، عندما ، عه حمسه عير من حواء ، هرج ، وأحكموا وثاقها ، وقالوا لهما في سخرية :

— سعا لمجلس والمكة و سمر انه من سعا ، ان سمر عو مدمر معودنا ، مثل ان سحرى اسمه ، وسمر سحرى ، الأناى ، وسنى سناهم ، واحدا (المور) ..

ثم تركوه موفض ، حتى حل رعناه الأعداء ، أحرروا ودمها ، وسرعو إلى القصر لإصلاح الرسالة ..

وهرج مرق من الحشيش إلى سكر سعه ، سمد لقال ، ويحب عن أي من سكر ، سعه حلقهم ، ولكن دون ان يسفر هذا عن شيء ..

وتعمر عندئذ سؤال جديد ..

أى طريق ملكه حدود (الفتح) إلى أرض
(المور) ، ليبلغوا رسالة سلطانهم !!

والمؤسف أن الأمطار قد هطلت بعد هذا الحادث .
ومحت إليه آثار أقدام ، قد يكون الأعداء قد حلقوها
وراءهم ..

ولم يعد أماننا سوى افتراض واحد ..

أن (المسح) قد كشفوا طريقا حيا بين (هرمق)
و (المور) ، وأنه سيكون وسيلةهم للمسالك إلى
البلاد وغزوها مستقبلا ..

ونصاعف الفرع في السوس ، مع انتشار
الفصه وانتقالها من مم إلى مم ، وبدا الأمر أشبه
بأمة حديثة ، نحشى أن تهبط عليها العدو بمعية
بالمطلات ، وبحل أرضها ، وهي في سبات عميق ..

وسريعة تحرت الشعة بالنفس ، وانهار الزهو
بأسوار (المور) الصحريه ، وأطاب الحديث إلى
وصف حيوش (المسح) المدريه ، ولم يلبث الرعب
أن ملأ سوس ، وارتفعت بعض الأصوات بطالب
محاكمه مستشارى الملك ، الذين سمعوا البلاد
إلى هذه الحالة من الضعف ، بسياسة السلام
الهريلة ، والمزوف عن الحروب ..

وأفل نجم (حوشيا) كثيرا ..

وتقدر ما هبط نجم (حوشيا) ، ارتفع نجم
(محددة) ، التي طالما بادت بضرورة تكوين جيش
قوى مدربه ..

ولم يعد أمام شعب (الأناثى) المسكن سوى أن
يتصرع إلى إلهه طالبا الرحمة ، وسائلا إياه أن
يمنحهم القوة على مواجهة أعدائهم ..

وأصبحنا نحن أمل (الأناثى) الوحيد في النصر ،
ونضاعف احترامهم لما مررات ومرات ، حتى أن
(حوشيا) نمسه صار يحشى لما كلما لقيها ، وصار
الحفاظ على حياتها هو الشغل الشاغل للجميع ،
فانقطعت المؤامرات والدسائس ، أما كان مصدرها ،
وواصلنا نحن العمل ..

وأخيرا انتهينا من العمل الشاق ، وتم إعداد كل
شيء للقتال ، واعتقنا على إشغال قبل الحرب لله
اكتمال النذر ، وهي الليلة التي أبلغنا حواسنا
بأن السلطان مستقيم فيها حمل رواح أنثى وأمنته في
(هرمق) ، وأنه قد استعد لبدء الهجوم على (المور) ،
فورا انتهاء مراسم حفل الزفاف ..

وفي ذلك اليوم أعددنا كل شيء ، فبمنا عدا سد
المر الذي يصل ما بين مفارة مقابر ملوك (الأناثى) ..

وسئل عنه . . . وكان الكسر قد مد منه كل
أسلاك المسحرب . . . وجعل منه الأسلاك جميعها
في حجرة . . . حيث نعيم مرأسه . . . وحب في السط
مصرعه ، وأقام حراسة مشددة على الحجرة ،
خشية حدوث أية خيانات . . .

وفي رابعة من ربا تم نعال منهم في مصر .
ومعه طير . . . حارب مدى الأسطراب . . . وبلغ
مومعا حول نصارى البرية وهو ربيب . . . مهيب
مه الكائن في قلق :

ماذا حدث ؟ . . . هل كشف (الفنج) امر
الاسلاك وقطعوها ؟

اجابه (جاميت) في انفعال :

— بل حدث ما هو أسوأ يا سدي . . . إن الأمير
الحوست بعد خمسة لأخشف رجلا . . . أمور . . . وسلك
الملوك .

صعقا الخبر ، وهتف الكائن غاضبا :

— ماذا تقول يا رجل ؟ . . . قص علينا الأمر كله .

التقط (جاميت) أنفاسه ، وهو يقول :

— إن لي صديقا وقريبا — ولن أبوح باسمه —

دع . . . اسمه الأمير . . . وبعد سرب معا اليوم نضعه

امداح من الخمر ، حلب عقده لسنه ، مداه به
بحرسي مرهوا بوجود مؤامره لأخصاص المسه .
أمسكه (أور) من حنكه ، وصاح به في فوه
— متى وكيف ؟

هز (جاميت) رأسه في انفعال ، وقال :

— لست أدري ، هذا كل ما أمكني معرفته .
سألته في حيرة :

— ولكن ما الذي يدعو لاختطافها ؟

اجاب (جاميت) :

— ليصبح أكبر رجل في (المور) .

ران علينا صبت ثقب ، صنعته دهشتنا

واسبكرنا لما سمعناه . . . وسال الكاس جاميت

في انفعال :

— ألم تعلم متى يتم ذلك تقريبا ؟

تردد (جاميت) لحظة ، ثم اجاب :

— بعد خمسة أيام تقريبا .

تهدد الكائن في ارتياح ، وقال :

— يوم السبت بعيد والحمد لله .

ثم ساله مرة أخرى في اهتمام :

— هل لي يا جاميت ، هل صديقك هذا صادق

دوما ؟

هز (جانبيت) رأسه نفيا ، وقال :

— إنه يكذب احسانا ، ولكننى رأيت ضرورة
إخباركم بها سمعت .

ربت الكابتن على كتفه ، وقال :

— حسنا فعلت .

انصرف (حاست) وبوتره بلارمه ، فى حين التفت
إلينا (اورم) ، وسألنا :

— ما رأيكم ؟

أجابه (هيجز) فى خجل :

— إنها بعض الشائعات ، التى تنتشر فى كل
مكان .

قلت بدورى :

— أوامرك على هذا ما بهجر ، فلور ان صديق
أحسب (حاست) معلم شيئا ، لما اكتمى بهذا القول المهم ،
وبصحي ألا تذكروا الأمر (محبدة) ، حتى لا نشر
قلتها بلا طائل .

هر الكاس رأسه منهما ، ثم التفت إلى (كوك)
يسأله :

أجابه (كوك) بلا تردد :

— لست أوامفهما إلا فى ضرورة عدم إرعاج
سلسلة الملوك بذكر الأمر ، ولكنى أثق فى أن (جانبيت)

رجل أمين ، وعريزته تؤكد له أن شيئا ما يحاك ضد
ملكته .

سأله الكابتن فى اهتمام :

— ماذا تقترح إذن ، لو أن هذا صحيح ؟

امسك الجاويش عصا قصيرة ، وراح يحط بها
بعض الخطوط على أرض الحجره ، وهو يقول :

— هذا رسم تخطيطى لحره الملكة الحاصه ،
هنا ححرتها ، وهنا مخدع الوصيقات والحاديات .

ثم حدار مربع ، يعقنه حندق عميق ، ولكن هناك
ممر بمرص مربع ، يصل ما بين ححره الحارس
ومخدع الوصيقات ، والراى عدى أن يقصى ليلدا
أنا والاستاد فى ححره الحارس ، مد هذه اللله ،
خشية أن يتم اختطافها قبل الأوان .

درس الكاس الأمر لحطات فى صمت ، ثم قال فى
حزم :

— ملكك ، ولكن ما راى الأستاذ (هيجز) ؟

قال (هيجز) :

— اقتراح الجاويش رائع بحق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— معدرة لخروجى عن النقاش ، ولكنى أحب

أن أضعد إلى الصخرة ، لأرقب ما يحدث ، عندما
تسبب المعركة .

هز الكابتن كتفيه ، وقال :

— لن ترى سوى وميض والتماعات في
السواء .. و لنصل أن يصحب بحوش إلى حجرة
بحاريس ، ونستطاع معها هرب مدان ، حتى
نصلها لنصلها .. والآن يا محب أولادك .
صوت البحاريس صعدت عندها بعض ، وقال :

— أية أوامر أخرى يا سيدي ؟

قال الكابتن :

— لا يا (كويك) .. أنت تعلم أنني سأنهمل

بشيء .. في هذه الساعة .. لقد أسفرت حواسيسنا أن
كل رتب منهم بعد شهر أسير ثلاث ساعات
كاملة .

أيد (هيجز) حديثه ، قائلا :

— هذا صحيح .. لقد سمعتم يؤكفون هذا ،

وأنا في سجنى .

قال (أورم) :

لقد أسفرت من أسير أسير قبل العشرة ،
مما كنت لأستدرك ، حتى لا تصاب إرودريك بأي

صبر ، وعليكما أن تتصلا بي وبالصليب في الباسعة
والنصف .

تبادسا لحيه . وصحبت أنا (هيجز) و (كويك)
إلى حجرة البحاريس ، وسألني (كويك) هاهنا .

— أتؤمن بالحاسة السادسة أيها الطبيب ؟

أجبتة وأنا في حيرة من سؤاله :

— بالطبع .. لماذا تسأل ؟

ابتسم ابتسامة حزينة وقال :

— شيء ما في أعماقي يسبى إلى من أراكم مرة
أخرى بعد هذه الليلة ، وأن يهتدي مدحيت .

حاولت تهدئته ، قائلا :

— إنه بعض القلق يا (كويك) ، و ...

قاطعتني في هدوء :

— عدنى ، لو حققت محافى ، أن يعوا نساء
أحيى الراحل ، وأن يخبروهم أن عمهم (صمويل
كويك) قد قام بواجبه حتى النهاية .

شعرت في أعماقي بأن مخاومته عني حق ، حتى

ان صوبى قد ارمحف ارتحامة حبه ، وانا اقول في
حزم :

— اعدك يا (كويك) .

لم سبه (هجر) إلى حديثا ، مقد كال مشعولا
بالطلع إلى معبود (العج) ، الذي سيهوى قبل
مطلع الفجر ..

او نهوى نحن ..

من يدري !

١٠ - المعجزة ..

عدت إلى الكائن ، الذي متى وحدا في حجرته
الشبيهة بالكهف ، وبركت (جامت) يحرس
الاسلاك ، ولم يكذ الكائن يراسى حتى اندرس
قائلا :

— قلنى يحدثنى بان (محيدة) معرضة لشر
مستطير ، وان قصة (حافيت) حقيقه ، ولقد رحنى
(محيده) ان سقى الليله في رمقيا ، ولكنى رمصت ،
حشية ان يصيبا مكروه عند انفجار العلم ، مصاب
معنا ، و ...

ارنم رنس الهامف المنداس في تلك اللحظه ،
فاضطف الكائن سماعه في لهة ، وهف :

— ماذا حدث ؟

اجابه (هيجز) في بساطة :

— لا شيء ، فقط اردت ان اخبركما ان
والجواش في حجرة الحارس ، ويدو ان القصر
خال تماما ، إلا من ذلك الحارس ، فلقد خرج
الجميع لرؤية الألعاب المارية ، حتى الوصيفات ،

ولقد حاول الحارس منعنا من سقاء في حجرته . بحجة
أن هذا يستلزم مع أوامر لأمر الحوشا . بشي
عدم احترام الأعراف من سلبية الموك . ولكن ، كوك
صفعة صفعة جعنة بعدد كالمندوع ، سارحا ومهددا
بإبلاغ الأمير ، و

منه حدثه عنه . على نحو النبا ، بهت به
(أورم) :

— ماذا حدث عندك ؟

اجابنا صوته بعد لحظات :

— زهرة (المور) هنا ، وتريد أن تتحدث إلى
الكابتن بنفسها .

استحب في صيف . لأترك بهما لحظات ، بعمان
من بعد حاد الحب والعشق . لستد كل منهما بوسره
ومحاوثة . وحسب خارج لبحره صامتا ، حتى
توحش . حبيب ، يهرع إلى . ومد أحد الرعب
منه مأخذه ، فصحت به :

— ماذا أصابك ؟ . هل قطعت الأسلاك ؟

اجابني وهو يلهث رعبا :

— لا . وبها رعب شبح أحد ملوك (المور) في
الكهف .

انتهى (أورم) حديثه على الفور . وسادنا أما

وهو مصره ذات معرى . ثم هب بسار حبيب

— هل قال شيئا ؟

اجابه (جافيت) وهو يرتعد :

— على الكبر . ولكني لم اهتم سوى الدليل ،

فهو يحدث بسرعة . وبلغه بحسب عن لحي كشم ،

وبش منه سلسلي كيف بحرو فومي على هدم

معوده . وحسب سلسلي مجرد حاد مضيع ، وهب

قال لـ (عمر) سلسلي أبي ، امور . وخصني

حسابه مع (الاباتي) والغرباء .

سادنا نظرة أخرى ، وفهم الكابتن :

— اظنها مجرد اوهام ومخاوف .

تطلعت إلى ساعتى ، وقلت في توتر :

ليس لدينا وقت للتحقق منها . بعد نصف

دقائق ثلاث فحسب على العاشرة .

اتخذ كل منا مجلسه في سريره . وسسيت أو

ساسيا مر ذلك الشبح . وراح النواصي يحيى

بنا كالدهور ، حتى صاح الكابتن :

— أربع ثوان . . ثلاث . . اثنتين . . واحدة .

ثم ضغط زر التفجر . .

وانفتحت ابواب الجحيم على مصراعيها . .

* * *

كان ارتجاجا لم اعهده مثله من قبل . القانا ارضا
في عنف ، ورأينا صحره كثيرة بهوى لسد الباب
امامنا . وسمعا اخرى تسقط بالقرب منا ، صدك
الأرض دكا ، وانتهالت الأبرسة في عرارة . حتى
هدأت الأمور . منهضت النقط ساعة الهامف ..
وهنا ساهى إلى مسامى دوى طافات باربه .
عبر أسلاك الهامف ، وسمعت صوت (هجر)
يهتف :

— حذار يا (كويك) .

واعقبه صوت (كويك) يصيح :

— اطمئن .. لقد اطلقت النار عليه ، ولن يملكه
إطلاق سهم آخر .

وارتفع صوت (مجيدة) تهتف :

— أين الكابتن ؟ .. اريد ان اتحدث إليه ..

ناولت الساعة إلى (أورم) في سرعه . وسمعتها
تستطرد :

— تعال بسرعة يا (أورم) .. لقد هاجبنا

رجال (جوشيا) .. اسرع قبل ان يمتكوا بنا ،
وان ..

وهنا انقطع الاتصال ، وايقنا من ان احدهم قد
قطع اسلاك الهاتف ، فالتقى (أورم) الساعة من
بده ، وهتف :

— اللعنة !! .. يا للخسة والخيانة !!

ووثب إلى الساب كليث غاصب ، وحاول ان
يرحرح تلك الصخرة التي معرصه في يأس ، ثم لم
يلتأ ان راح يدور في الحرة كالمحور ، وضرب
الصخرة بكفيه ، حتى صحت به :

— اقرب ان نقتل نفسك ؟ .. اهذا واتركنى
أفكر .

ولكنه لم يبال بحديثى ، وإبنا هتف (حاسن) :
— احصر هذه المصدرة إلى هنا يا (حاسن) ،
م هناك مراعى ضيق بين الصخرة والحمامة العلوية
للباب ، ولعلنى استطيع عبوره .

نححت مكرته بالعمل ، وأمكنه عبور تلك المرحلة ،
وتبعه أنا و (حاسن) ، ورحنا نعدو بحر الثلاثة
نحو القصر ، ولم نكد نحصار ردهته حتى رأينا تقع
الدماء على الأرض ، مصاح (أورم) في هلع :

— اسرعوا .. اسرعوا .

عبرنا الممر الذى يوصل إلى مخدع سليله
الملوك ، ووجدنا انفسنا نسير فوق حث ودماء ،

حتى دنا حجرة العرش ، فحدثت أسعد هـ
 هول المشهد ..

كانت الحجرة مغطاة بغطاء تسبح في بحر من
 الدماء ، وكلها ترندى النياب الرسمية ، التي
 أحارها (حرسها) لجنوده ، وعلى مقربة جلس
 كوكب دار مدعة ، وهناك سمع بحرق ظهره ،
 في حين وقعت الملكة إلى حواره ، ذلك وحده دمعه
 من القماش المبطل ، وإلى جوارها وقف
 ولدها ، يدرك من حراجه ، وحده ..
 يسى وسحق ..

ولم يكذب .. كوكب .. سمع ..
 انتسامة راضية ، على الرغم من الدماء التي شره
 من رأسه في غزارة ، واسلم الروح ..
 وضم الكائن (مجيدة) إليه ، وعتف في ارتعاع
 — ماذا حدث ؟

أجابته (هيجز) ، والحزن يثقل قلبه وصومه ،

— سمعت ذكري العرش في سماء مدعوم ..
 بهم دأب روح .. حركه ..
 لدهار ..
 المملك ..



ووب في لبات كسب عاصب وحزون أن يوحى بك لصحرة
 التي تعرضه في يأس ..

على ذلك إصرارا دفننا إلى طرده ، ولم نكد يعادتنا
حتى انهالت علينا السهام ، وانقض علينا جمع كبير ،
بنادى مضرورة قبلنا وانعاد الملكة ، ونشب عراك
بيننا وسهم ، وأبلى الحاويش ملاء حسنا ، حتى ولى
المهاجمون الأدبار ، بعد أن أصابوا الكوك ،
بضربة سيف في رأسه ، وعلى الرغم من إصابته راح
يقاوم كالأسد ، حتى أطيأ إلى سلامة الملكة ،
فارتقى خائر القوى ، إلى أن حر صريعا أمامكما .

قال هذا ودموعه تنهمر في عراره ، فاحدما نهدي ،
من نفسه ، وبفوسفنا نكئ المسا وحسرة على
الكوك ، وحملنا حثه هذا الأخير إلى مخدع الملكة ،
التي أصرت على أن يوضع من دافع عنها حتى
الموت على مراثيها ، وراح نصعد حراج (أورم) ،
وهي تقول في توتر :

— لم نعد نمان هنا .. لقد مثلت مؤامرة عمى
لاخطائى ، وبكسه لن يلبث أن يعود نائف من
أعوانه .

سألها الكابتن مستنكرا :

— ماذا تعنين ؟.. هل نهرب من (المور) ؟

أجابته في يأس :

— وكيف لنا أن نفعل ، ورجال (جوشيا)
بحرسون الطريق ، و (السح) بظروبيكم في
الحراج .. إن (الأمانى) بكرهوبكم ، وسيميلوكم
بلا تردد ، بعد أن أبهمم ما أبفوا على حسابكم من
أخيه .. إبهم شعب باكر للحميل ، وحدثنى أن
دفعتمكم للمحى إلى هذا البلد العاق .

واحرطت في بكاء حار ، محث ، حاست ، عند
تدبيرها ، وقاتل :

أنا سليله الملوك . استمعى إلى خادمك المخلص
الأمس ، مهيت ، على مسيرته حمسه كيلومترات .
بوحد حمسه من رحاات المخلص ، يعملون تحت
سادس ، وبسدوك بالروح والدم ، مهام ملحق
بهم .. يمتقون (جوشيا) أشد المقت .

صغت (محبده) إلى الكس لحصات ، وكنتها
تسأله المشورة ، ثم قالت :

— فكرة جيدة .. هلم بنا إلى هناك .

وبم مص عشر دمايق حتى كبا بحسنى في معاطف
بسله ، ويحفظ بالحموع المحشدة ، ابنى احصيت
في الميدان الكبير ، وراحف بشير إلى صحرة
تتوسطه ..

وامام دهول ودهشت ، بدا لما يعود (نصح)
واصح ، وقد قدف به الانحار إلى ارض (المور) .
وبدا (جاسب) شديد الرعب ، وهو سطلع إلى
هذا المشهد ، مرت (هجر) على كفه ، قبله :

— لا ترتجف على هذا النحو يا رجل .

الثفت إليه (جانبيت) ، وقال في ارتياح :

— ألم تعلم ما يعنيه هذا يا سيدي ؟ .. لقد
حلب اللعنه على (الاناسي) ، وبدلا من ان يرحل
(السبع) بعدا ، فإنهم سيسعون مصودهم إلى هنا .

وكان (جانبيت) على حق ..

بعد انعكست الآية ، وصار على شعب (الاناسي)
ان يقاتل من أجل حياته وحرية ..

او يموت ..

لم يكند سلع موقع جيش (حامت) الصمير .
حتى لمسنا الفارق الهائل بين 'تفرق' البطله ،
وسائر شعب (الاناسي) ، فقد اعرضنا صور
انفراسا من موقع الجيش حدى حراسه ، وشهر
سيفه في وجوهنا ، هاتفا في صرامة :

— توقفوا ، واكشفوا عن شخصياتكم .

اجابه (جانبيت) في هدوء :

— إبنى رئيسك .

قال الحارس في حزم :

— معذرة يا سيدي ، ولكنني اصر على ان

نكشفوا وجوهكم .

كنس (حامت) وجهه لحارس ، الذي حماه
في احرام ، وكشعا وجوها يدورما . فلم يكند
الحارس يرى وجه (محددة) حتى حر ساجدا .
وهو يهتف :

— لبيك يا (أم الفجاشي) وسليمة الملوك .

احسبه في برمع ، شمس من طسعه الدماء المنكبه .
التي تسرى في عروقها :

— اسقذع غرقتك كلها ؛ لابلعها اوامري .

لم يمحى دمه واحده . حتى حث أممها حبيبته
رجل موفوري القوة والصحة ، ثم انتظموها في
صفوف منسمة ملزمة . عوقبت هي أمامهم بقول :
— أيها الرجال المخلصون ، لم يكذب معبود
(الفتح) بنهار الليلة ، حتى أتى عمى (حوشيا)
ينشد قلبى ، أو مسجنى في قلعته عند البحيرة .
سرت هممة غاضبة مستفكرة بس الجنود ،
مأضات في حزم :

— الأسوأ هو أننى لم أكاد أرفض ذلك ، حتى
اصطحبت عمى ثنه من رحلته . لانتراعى عبوده .
ومكن الأحاب لنس حدموسى هموا لنحدي .
ودارت بسهم وس حمود عمى معركته حمده
لوطيس . محج حذرها لأحاب في إخبار مواف عمى
على الانحساب ، وعمى يجمع الآن أعوانه . لنعد
الكرة .

بعض صناديقهم إلى من سماء ، وعمم يهتسون :
— فذاك دماؤنا وأوراحنا يا سليلة الملوك ..
مرى مطع .. محى رهن إنك يا زهره لمر .
ورفع أحد ضباطهم سيفه عاليا ، وهو يهتف :
— فلنسحق رأس الأفعى .

ولكنها صاحت مستفكرة :

— أنشس حربا أهلية ؟ .. أشمل نيران المنة
وسط شعب يواجه عدوا مشترك ؟ .. ثم كيف لكم
مواجهة جيش (حوشيا) الجرار ؟
سألها الكابتن :

— ماذا تقترحين إذن ؟
اعتذلت في اعتزاز ، وهى تقول في حزم :
— أن نعود مع هذا الجيش الصغير إلى
القصر ؛ لنقف جميعا في مواجهة الأعداء .
غمغم (هيجز) في ألم :

— من الأصل أن نسرع إذن ، مساقى تؤلمنى
للغاية ، وإكاد أسقط نائما بين أيديكم .
رفعت (مجيدة) ذراعها ، وهتفت :
— هيا يا رجال .. حلوا الخيام ، واستعدوا
للسير .

لم يكذب تتم عبارتها ، حتى تناهت إلى مسامعنا
حله ، وأبصرنا رجلا يقوده بعض حراس الجيش
الصغير إليها ، وحمل إلى في البدايه أنه حسوس ،
ثم لم البث أن انتهت إلى ملاسسه الغريبة ، وثوبه
المحمر ، وتلك العلادة الذهبية ، التى نرس عبقه ،

مرسى عسى إلى وجهه ، وانطقت من أسفالي
شبهة قوية ، وأنا أعتف :

— ولدى أ. (رودريك) !

وفي اللحظة التي كان كل منى منى
أخر . أهر وده صاحبه بالصلاب . وألف حولها
الأيام في سيرة العنبري أحرأ عسى إلى الصانع .
وهتفت به في فرحة فائقة :

— كف جئت إلى هنا ؟

أحاننى في مسعادة :

— على قننى يا ولدى .

وهتف به (هيجز) :

— يا ولدى ، قد نزلت إلى روبرت باله يا رودريك . .

أين زوجتك ؟

أنا رودريك ، سعيدة حارة ، بحمل أكثر من

الخلاص والارتياح ، وهو يقول :

— لم يتم الزواج لحسن حظي . . لقد سارت

المراسم في رأس الحسم ، وعلى أن يصنع الكاهن

عده إلى رأسها . أفسا روحا وروحه . وهنا

أرعد النساء . وعرب الحبال . وساد الهرج

والفرح . ورجع إلى العيون في كل مكان . وهم

يعدون . وسعدت برجل لأبى قتل معبودها .

الذى لم يرح مكانه منذ الخليفة . . إنه سحر الرجل
الأسنى . . . وراح سلطان ، الفتح ، بشق ثوبه
الملكى ، وبصرح : « أحرروا أهلها ، الصبح . .
هاجروا . . لا يجب أن يبقى واحد منا في هذه
الأرض . بعد موت معبود . . » وراح حطمتى ،
أبى السلطان ، بشق ثوبها بدورها ، ولطم
حديها . وراحت تعدو مع الجموع الراكضة نحو
الشرق والحبوب . وقد أسبب الجميع بدع هائل .
لم أر له مثيلا في عمري كله . ولكنى أدهرت
المرصة . وانطلقت أنا نحو العرب ، وفادى مهر
ضيق إلى هنا ، فأمسك بى هؤلاء القوم .

سميته مرة أخرى إلى صدرى ، وأنا أقول :

— مسكين أنت يا ولدى . . استعرت من

الرمضاء بالنار .

سألنى في دهشة :

— ماذا تعنى يا أبى ؟

أجبتة في حزن :

— لقد نظير رأس معبود الصبح مع الامحار .

وهو يرفد الآن في سهول (المور) ، وهذا يعنى أن

(الفتح) سيسمون إليه ، وسيقع جميعا في

مبصم .



— والآن تعال أقدمك إلى سليمة الملوك .

استقبلته الملكة في حفاوة بالغة

هز رأسه ، وقال :

— لست أظن هذا ما والدى ، ثم الفتح بجهلهم
ما أصاب معبودهم ، إلا أنه قد نسف نسبا ، ولمد
هجروا (هرقى) إلى الشرق ، فور حدوث هذا ،
ولن سمعوا عن ابتعادهم ، ما داموا يحفلون أن
راس المعبود هنا .

درست كلماته في راسي لحطات ، ثم قلت :

— أرجو أن يكون محما ما ولدى .. أرجو ذلك
من أعماق قلبي .

ثم ابتسمت ، مضيفا في حنان :

— والآن تعال أقدمك إلى سليمة الملوك .

استقبلته الملكة في حفاوة بالغة ، وانحني هو
يلثم أصابعها ، وهو يخفم مفتونا :

— إنها أحمل إبراة رأسها في عمري كله يا ابي .
ولم يكن أول من تفننه الملكة ..

عدنا ادراجنا إلى (المور) ، على رأس جيش
أحامت ، الصعير ، وأعرضنا حاميه صغيره .
على مشارف المدينة ، ولدى الملكة أعلنت عن
شخصيتها ، فسمع لنا رجال الحامية الطريق ،

واسعدوا على صهوة جردهم . بسيموسا إلى
المدينة ..

ولم يكذ نطلع المدينة حتى موحيت بان احبار
الاسر الاسر . الذي عاد من بلاد الصبح ، على
قدمه . قد سبقنا ، معلن حاميا ، ان الصبح ،
قد هاجروا إلى الشرق . وهم يحيلون ما حدث
لمعبودهم . ويذهب هذه الاحبار حرا ، لاني ،
واشاعت بينهم المرح ، وانفسه من صدورهم ،
مراحوا برقصون ويهيمون في الطرف ، ويهينون
انفسهم على شجاعهم ، التي دعت الصبح للفرار
من وجوههم والهجرة إلى الشرق !! ..

ومحسنا بحر . وسط هذه الاحصالات . إلى
المصر . دون ان يلب اسرا الاطمار . ويكن محاذ
اعرضنا حش صحم . من الف رجل . وصباح
قائدهم في (جانبيت) :

— كيف غاردم موقعكم ؟ .. من امركم بهذا ؟

اجابه (جانبيت) في حزم :

— امرني من لا املك مخالفة اوامره .

قال القائد في صرامة :

— لو أنك تقصد البض فانت خاسر ؛ فلدينا

اوامر من اميرنا وقائدا (جوشبا) بإلغاء القصر
عليهم .

قال (جانبيت) في صوت جهوري :

— لقد امرني سليله الملوك بحسهم إلى قصرها .

اجابه القائد في صرامة وحدة :

— سليله الملوك لا يملك إصدار قرار . ما لم
يقره المجلس .

وهما كشفت (محبده) القرب عن وجهها .
وصاحت في غضب :

— اقتصوا على هذا القيد انها الضباط . ما
ملككم . واقطعوا رأسه . وارسلوه إلى اميره
(جوشبا) ، الذي دفعه إلى هذا .

شحب وجه القائد . عذبا رأى وجه (محبده) .
والتي نفضت عن حواذيه . وركع عند قدميها بيسع
وحبه في ذيل ثوبها مسعرا . ولكنها قالت في حزم :

— سننار لمقتل الجاويش .. نفذوا الامر .

وفي الحصة العاليه كان حش الحرار يعود

أدراجه في موكب حرس ، حاملا رأس مئده ، في حين
صاحت (مجيدة) بحيش (جافيت) :

— هيا .. سوصل سريما نحو القصر .

بدت كاحس ما يدو الملكة ، وهي سعدم بحيش
الصغير ، في طريقها إلى القصر ..

ولكن فحاة حدث ما لم يكن في الحسبان ..
لقد ارتد إلينا جيش الألف رجل ..
ارتد مقاتلا ..

تقول الأمثال إن الشدائد تبرز الرجال ..
وهذا ما حدث بالضبط ..

لقد كان جيش (حوشينا) صعب بعداد جيش
حبيب ، ولكن رجال هذا الأخير كانوا من حمرة
الرحال ، ونفس محلل شجاعهم واستعدادهم
القنالية على الفور ..

ودار القتال حامي الوحش نصف الساعة فقط .
وبعد انصق من سقى من جيش (حوشينا) بولي
الأذبار ، وقد عدوا نصف رجالهم . في حين لم يعد
حسب حبيب سوى خمسين رجلا محسب ..

ودخلنا القصر الملكي مع المجر دخول الطامرين ،
ولكننا وجدنا بعض النيران تشتعل منه ، ما سرعا
بطينها . حتى هذات الأمور مع مشرق الشمس ..
وعادت الملكة إلى عرشها ..

كنت اتحدث مع ولدي (رودريك) في الصباح
الغالي . عندما جاء (حبيب) بدعونا لمعالمه سلمه
الملك ، ما سرعا إليها ، واستمعنا في صوت حرس
أسف ، وهي تقول :

— عبر أحد السهام مئده حرس في الصباح ،
حاملا رساله من عمي (حوشينا) ، بقول فيها :
« غلبنا (أم النحاشي) لنا صومها النص ، الدين
امسدوا عفاها ، ودمعوها إلى إرافه دماء شعبها ،
وأن مسلما معهم جيش (حبيب) ، حتى يعمو عفاها
وعن الشعب ، ويحدها روجه لنا ، وإلا مسعمل
سيوفنا في رقاب الجميع بلا رحمة » .

ثم رفعت رأسها إلينا ، وسالت :

— ما رأيكم ؟

قال الكاتب :

— إنما سر المطرقة والسندان في الواقع ، هما
أن نوحنا (حوشيا) واعوانه ، أو بخاصة روت حتى
نموت جوعا .

غمغمت في شحوب :

— لقد نسيت أحد شروط هذا العاخر يا كاس .
واشارت إلى السفره التي يطلب منها ، حوشيا ،
الزواج منها ، ثم اعدلت قلمه . وهي سرر خطايا
مكتوبا :

— على ايه حال ، لقد اُحيت خطايا حوشيا
بالفعل .

وراحت تقرا :

— « يا شعبي الثائر ورعيتي المتمردة . .
سلموني عمي (حوشيا) واعضاء المجلس الذين
مردوا على حكمي ، ما حاكمهم واعمو عن الآخرين .
والا فإنه مع اكتمال القمر سيقع ليلاد (المور) ما وقع
ليلاد (هرق) . وهذا ما هبط به النوحى على .
ولعلموا ان اممكم الوحيد في ملككم . وصدومها
البيض » .

سألتها في دهشة :

— ماذا تعنين بالوحى الذى هبط عليك ؟

اجابتني في هدوء :

— لقد غرقت في نوم عميق مع الفجر ، وشاهدت
في نومي امرأة سمراء ، مهيبة وقور ، عرفت ليها
جسدي (بلقيس) ، التي تطلعت إلى في مزيج من
الحب والاسى ، ثم اراحت من امامي سفار المستقل ،
فرايت النور يتوسط السماء ، وتحتة بلاد (المور)
اطلالا ، وقد اكتظت شوارعها بالقلى .

تمتم الأستاذ (هيجز) :

— إنها مجرد نبوءة عبرانية قديمة .

فوجئت بولدى (رودريك) يقول :

— لقد انتهى عهد (الابائى) .

التفتنا إليه جميعا في دهشة ، فاستطرد في
جدية :

— لقد علمنى كاهن قديم تفسير الاحلام ، وهذا
الحلم يعنى نهاية شعب (الابائى) ، مع اكتمال
القمر .

أما الكابتن ، فقد واجه (مجيدة) ، قائلا في قلق :

— هل تعلمين أن جوابك على رسالة عمك ،
يعنى إشغال حرب غير متكافئة ؟

اجابته في هدوء ، وهى تقطع إلى حشود
(الأباتى) ، فى الميدان المواجه لقصرها :

— من يعلم كيف تنتهى هذه الحرب ؟

وبدا قولها اقرب إلى الصواب ..

١ نعم .. من يعلم ؟ ..

* * *

١٢ — الهزيمة ..

لم تكن الحرب متكافئة بالعمل ، فجيش (جافيت)
لا يعدو سدس حجم جيش (جوشيا) ، ثم أن المؤن
فى القصر لم تكن تكفى إلا لثلاثة أيام فقط ، بالإضافة
إلى أن ابواب القصر واثاثاته كانت مصنوعة فى
العالب من الخشب ، مما يجعل اشتغال الحرائق
امرا متوقعا ميسورا ، وعلى الرغم من ذلك فقد
رحبا بحكم المراسم ، ونوزع الحراس على المنافذ
والابواب ..

وطيله الايام الثلاثة التالية ، حاول (الأباتى)
اقحام إحدى الموابات ، إلا انما اصليناهم نيران
مسدساتنا وفادقنا ، وسهام رجال (جافيت) ،
حتى ولوا هارمين ، ومعدها اكتفوا بمحاصرتنا
حتى بعلنا الجوع ، ونضطر إلى التسليم ..

وراودتنا فكرة أن نخرج إليهم ونقاتلهم ، وكان
من رأى (جافيت) أن الموت فى ساحة المعركة
اشرف منه على المشائق ، ولم يؤيد هذا القول إلا
ذلك الجوع الذى نهش أعاننا ، مع نفاد المؤن ،
فأخذنا قرارا بالخروج لقتال (الأباتى) فى الصباح
التالى ، مهما كانت النتائج ..

ولكن القدر لم يمهلنا لنفعل ..

لم تكد تشرق شمس الصباح النالى ، حتى بدا
لنا ان سيلاً من الشهب يسقط على القصر ، من
قمة الصخرة المشرفة عليه ، نهتف الكائن :

— يا إلهى ! .. أى شهب هذه ؟

ثم لم يلبث أن صاح ملئها :

— رباه !! إنها أسهم مشتعلة .. اقرع ناقوس
الخطر يا (آميز) .

وهوت الأسهم المشتعلة على القصر ، وراحت
السيارات تندلع فى كل ركن من القصر ، وأصابها دعر
هائل ، ونحن نعدو من بقعة إلى بقعة ، وكلما
أطمأنا ركنا اشتعل آخر ، وأصابنا النيران بعصر
الرجال ، فراحوا يعدون فى ألم ورعب ، كجمرات
ملتهمة حية ، وراحت وصيفات الملكة يصرخن
ويعولن فى رعب قاتل ، وارتفع صوت (جوشيا)
من الخارج ، يهتف برجاله :

— اقلوا من تشامور ، ولكن الويل كل الويل
لن يمس شعرة واحدة من رأس سليلة الملوك .

هوت الضربات على الأبواب فى عنف ، وصاحت

الملكة بوصيفاتها ، تطلب منهن العرار بأنفسهن ،
ماطعنهما فى أرباب ، فى حين أمسك الكابش بيد
الملكة ، وهتف :

— تعالوا .

صاحت فى عناد :

— لا .. إننى أفصل الاحتراق حية ، على تسليم
نفسى لـ (جوشيا) .

صاح بها :

— لن نذهب إلى (جوشيا) .. سنذهب إلى
الكهف ، حيث مقابر ملوك (الأباتى) ، معى نفق
ضيق كهذا يستطيع أربعة رجال سادقهم صد آلاف
(الأباتى) .. هيا يا (جافيت) .

انطلقنا إلى الكهف ، وعبرنا مغارة مقابر الملوك ،
وأشار (جافيت) إلى السرداب الذى يربط ما بين
الكهف ومغارة الأسود ، وقال :

— يمكننا أن نمر من هنا .

اعترض (هيجز) فى خوف :

— وما الفائدة ؟ .. سنفر من (الأباتى) لنقع فى
أيدى (الفنج) .

هتف ولدى (رودريك) :

— لا .. لقد رجل كل (الفنج) عن (هرق) .

وامتقا على اقتراح (حامت) ، ساء على راي
(رودريك) ، ولكن ههنا ..

كان السرداب قد اسد ماما بالاحجار والصحور .
من وراء الانفجار ، وتم يكن عدديا او حاسبا يصلح
لرمعها ، ماصبا الياس مره اخرى ، وحاميه مع
ضعف المشاعل ، وقرب انطفاء ثيرانها ..

ثم لمطت المشاعل انماسها الاخيرة ، وتركنا في
ظلام دامس ، والجوع ينهش امعنا ..

ومحاة هتف (جانت) ، وهو يحنو عند قدمي
الملكة :

— اما سليله الملوك .. عندك (جانيت) شجاع
صديد في صوء الشمس ونحب اللحوم ، ولكنه هنا .
وسط الجوع والظلام ، اشد حبا من (جوشيا) ..
ارحوك يا مليكني ، دعينا نعد إلى النور ، ونسلم
انفسنا للأمير ، فقد بعثوا عنا ، وبحفظ حيائنا .

هرت (محيدة) راسها في صمت ، فاجبه
(جانيت) إلى الكابتن ، مستطردا :

— انرضي يا سيدي أن تكون سبب مصرع سليله
الملوك جوما وعطشا ؟

الا بدفعك حثك لها إلى صونها من الهلاك ؟
اجابه الكابتن في صوت ضعيف ، بدا وكأنه ينبعث
من أحد القبور :

— انت على حق يا (جانيت) .. اصمى إليه
يا (محيدة) ، إنما سموت بدد الجوع او بايدي
(الاناتي) ، أما انت فخرجك من هنا يعني نجاتك
حتما ؛ لأن (جوشيا) لن يتركك سوء .. هيا
يا (محيدة) .. ارحلي .. ارحلي لتنجي بمرك .
اجابته في انممال ، على الرغم من ضعفها
وتهالكها :

— لا يا (أورم) .. إنني امصل الموت على
الروح من ذلك العاسق (جوشيا) .. ولينحنى
القدر فرصة أن اموت إلى جوارك .. مر (جانيت)
بالتزام الصمت ، او اطرده من هنا ، حتى لا يزعجنى
مرة اخرى .

ولم يعد (جانيت) إلى هذا الحدث بعدها ..
ابدا ..

قضينا في ذلك الكهف يومين كاملين ، نهش
خلالهما الجوع أمعاءنا ، ولم يكف ذلك القدر الضئيل
من المياه لنحيا شيئا من الطاقة ، ولقد احببنا
(جاميت) ، ولكن ذلك لم يلفت انتباهنا كثيرا ، فقد
ادركنا انه قد ذهب ليوت في مكان ما ، وشعرنا ان
الموت يحيط بنا كلنا مثله ، وراح الضعف يحيط بي
في شدة ، واذكر ان آخر عود ثقاب اشعلته قد
جعلني ارى الاسناد (هيجز) ، وهو يخط مصمم
كلمات على قبعته ، وهو يطنها بمكره ، وقد ارتدى
مطاره ، على الرعم من الطلبة ، وإلى جواره وقف
(رودريك) يشهد بالعربية والإنجليزية ، وعلى
مقربة منهما رايت (مجيدة) تجلس إلى حوار
(أورم) ، وقد احاطها هو بدراعه في حنان ،
وأسندت هي رأسها إلى كتفه ..

ثم غمر وجهي ضوء قوي ..

ومقدت الوهي ..

ونجاة استيقظت ..

استيقظت لأحد نمسي في حجرة كبيرة ، راقدا على
مراش وثير ، وإلى جوارى يرقد (هيجز) والكائن
و (رودريك) ..

ثم دخل خدم (الاماني) يحملون الطعام ، وراحوا
يطعموننا ، ثم تركونا نعود إلى النوم ..

وتساءلت عما بعينه هذا ..

أهو حلم ؟ ..

أهو امل بالنجاة ؟ ..

ولكن لا ..

إن مذاق الحساء واللحم ما زال في فمي ، وبين
أسناني ..

إنها حقيقة إذن ..

لقد نجونا ..

لقد اخرجونا من الكهف ، وحملونا إلى هذا
المكان ؟ ..

ولكن من محل هذا ؟ ..

ولماذا ؟ ..

لماذا ابقوا على حياتنا ؟ ..

لم أجد جوابا لكل هذه الاسئلة ، ولم أحاول حتى

ان اتيها على خدم (الانانى) ، الذى اطعمونا
الحساء واللحم خمس مرات فى يوم واحد ، حتى
استعدنا عامينا ، ورايت (هيجر) يجلس على
فراشه ، ويحدث فى وجهى ، قائلا

— انجونا ، ام انه يوم الحساب ؟

اجبته فى خفوت :

— الأرجح انه يوم الحساب .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— لو اسألتكما فى ادى (الانانى) ، مالحوات
الاصح هو اتنا فى الجحيم .

ثم هتف بالكابتن :

— استيقظ يا (اورم) .. لقد خرجنا من الكهف
على اية حال .

نهض الكسندر ، وتطلع إلينا لحظة ، ثم سألنا :

— اين (مجيدة) ؟

لم ملك جوابا لسؤاله . ولكن (رودريك)
اجاب :

— لقد حملونا إلى خارج الكهف ، وكان (جاميت)
معهم .. ولقد رايتهم يحملون سلسلة الملوك إلى
جهة اخرى .

حاولنا هذه المرة ان نلقى معص الاسئلة على
الخدم ، ولكنهم رمضوا رفضا تاما بمحا اية
اجوبة ، ولقد سمعت احدهم يهيس لزمنه ، وهما
يفانران الحجرة :

— متى تنتهى خدمتنا لهؤلاء الاوغاد السض ؟

اجابه زميله :

— سيقدر المجلس هذا ، فى غضون يوم او
يومين .

وعند الغروب سمعنا اصواتا تهف اسفل
النافذة :

— أعطونا الفراء .. نريد الفراء .. لقد
سئمنا الانتظار .

فغمغم الأستاذ (هيجز) :

— من المقلاة إلى النار مرة ثانية .

وبدا لى قوله اقرب ما يكون إلى الصواب ..

لقد محونا من الموت فى الكهف ، لنقع فى ايدى من
يمقتوننا اشد المقت ..

ولقد بقينا فى هذا الكهف ثلاثة ايام ، نعينا فيها
باطابات الطعام والشراب ، كالتناع التى يتم تسميتها
للدبح ، وفى اليوم الرابع ، وبصد ان انتهينا
من ساول طعام الامطار ، اقبحم عدد من الجنود
حربنا ، بقيادة صابط عبط حش الطباع ، احبرنا
فى ثمانية اسياس سدهب إلى المجلس ، ليحاكم امام
سليله الملوك ، سهمة قتل عدد من الرعمه ..

وذهبنا ونحن نجهل مصيرنا هذه المرة ..

نجهله تماما ..

* * *

١٣ - المحاكمة ..

مضينا إلى المجلس وسط حلقة من الجند ، تميل
على حمايتنا من غضب الشعب ، حيث راحت
النساء يلوحن بقبضاتهن فى وجوهنا ، ويبصقن
علينا ، فى حين رشقنا الاطمال بالحجارة ، ووجوه
الجميع تحمل كل الكراهية والتشظى والبغض ،
فسالى (رودريك) ، وهو يدلك كفه ، بعد إصابته
بحجر :

— لما يكرهونكم على هذا النحو يا والدى ،
على الرغم من كل ما اديتم لهم من خدمات ؟

اجبته فى حزن :

— لان الملكة تحب احدا يا ولدى ، ولانهم
يكرهون الاجانب ، وكلل الجناء ، سيسعون
للانتقام منا ، بعد ان امنوا شر (الفنج) ، واصبحوا
بلا حاجة لوجودنا .

غمغم فى غضب :

— كم امنى ان يدرك (الفنج) خطاهم ، ويعودا
للثار من هؤلاء الجناء .

بلغنا مجلس الملكة الكبرى صموية ، وبعد
ان اصابتنا بعض الحمى والحجارة واخرقنا
صفوف وجموع النسل والكهنة والقادة ،
الذين راحوا بسخرون منا ، ويمرون عن شمائمهم
ومقننهم ، حتى وضعنا الحراس فى المكان المخصص
للمتهمن ، إلى يسار عرش (مجيدة) ، إلى احدى
نقابها الموشى بالنجوم المضمة وجهها ، وسبعت
الكائن بقتل فى ارتياح ، وهو يقول :

— حمداً لله .. إنها بخير .

قال (هيجز) فى حلق :

— كان ينبغي أن تتخذ مكانها إلى جوارنا ، فى
فحص الاتهام ، لا فوق العرش .

أشار إليه الكائن بالصمت ، ونهض مثل الاتهام
ينهمنا بأننا قد انتهرنا فرصة وحوادثنا على رأس
حبش (المور) ؛ لنشر حرباً أهلية ، ونشعل نيران
الفتنة وسط شعب (الأباتى) ، مما تسبب فى إراقة
دماء العديد من الأهالى بأيدى بعضهم البعض ، إلى
حوار من قتلناهم بأيدىنا ، ثم اختطفنا الملكة ، وهربنا
إلى مدينة الأرواح تحت الأرض ، لولا أن كان بيننا
(جاميت) ، أحد رجالهم المخلص ، الذى كشف
لهم من مخبئنا ..

وانتهى مثل الاتهام من حديثه ، فسألنا القاضى :
— هل هذا صحيح ؟

نهض الكائن نيابة منا ، وقال :

— ليس هناك مجال لاتهامنا بقتل من سقطوا
فى ساحة القتال ، مقد كما ندافع عن حياتنا ، ثم إننا
لم ندأ تلك الحرب الأهلية ، بل بدأها أميركم .
سرت مهمة غاضبة وسط الحضور ، ولكن
الكائن تجاهلها تماماً ، وهو يواصل حديثه فى
شجاعة :

— أما عن ماضى الاتهامات ، فسأترك لسليمة
الملوك وحدها التحدث عنها ؛ لأنها تعرف حقيقة
ما حدث .

صاح بعض المقترجين :

— لقد اعترفوا بحربة القتل .. أصدروا الحكم
بإعدامهم فوراً .

نهض القضاة من مجالسهم ، والنوا حول
(مجيدة) ، يشاورونها فى الأمر ، وقضوا حولها
بعض الوقت ، ثم عادوا إلى مقاعدهم ، فرفعت
(محيدة) يدها ، وساد المكان صمت تام ، قبل أن
تقطعها هي ، قائلة فى برود :

— لقد اعترفتم أيها الغرياء بإثارة حرب أهلية ،
أهدرت فيها دماء وأرواح بريئة طاهرة ، وهذا
لا يحتاج إلى أدلة أو براهين ، فدموع اليتامى
والأرامل ودماء الشهداء تشهد بذلك ، ثم نأسى جريمة
اغتطافى ، واحتجارى فى أرض الأرواح ، لتضمنوا
سلامتكم .

صعقا حديثها ، وعقد السفن فى حلوقها من فرط
الذهول ، فى حين تابعت هى نفس اللهجة الباردة :
— إنكم تستحقون ما هو شر من الموت ، بسبب
هذه الجرائم ، ولكننا سندكر لكم تدميركم لمحبود
(الفنج) ، وسنمحو عنكم بالنسبة للإعدام ، ولكننى
أمركم بالرحيل اليوم إلى بلادكم ، بما لكم من مناع ،
وبما جلبتموه معكم من مقبرة الملوك ، والويل لكم
لو عدتم إلى هذه البلاد ، ولتحمداوا الله ؛ لأنكم وحدتم
شحننا كريما ، أصر على التمسك بالانصاف بين
مجلسه وبين جماعة من البيض العرباء ، حتى
لا يوصم بالتبازل عن شرفه يوما .. ارحلوا ،
ولا تدمونا نرى وجوهكم بعد اليوم .

هتف البعض مؤيدين ، وصاح البعض الآخر
غاضبا :

— لا .. لا .. يجب أن يقتلوا .

أشارت (مجيدة) بيدها فى صرامة ، فهاد الصمت
بمسود المكان ، لتقول هى فى حزم :

— حذار أن يصيبكم التساريخ بأنكم شعب من
القناة الجبناء ، معدومي الشرف .. لقد دعونا
حفنة من كلاب البيض لتضطاد لنا وحشا يحمل اسم
(هرمق) ، ولقد نجحوا فى مهمتهم ، وأحسنوا
الصيد ، ويستحقون أن نبقى على حياتهم ، وأن
نمنحهم كومة العظام التى ارتضوها أجرا لهم ، والنس
يتصورون أنهم قد ربحوها بعرق الجسن .. وما قيمة
حفنة من العظام عند شعب عظيم مثلكم ، لم يلوث
أرضه بدماء كلاب بيض .

نقل حديثها الحماس إلى قلوب الجمع ، فارتفع
هتاف هادر :

— طبرحلوا .. اربطوهم إلى ظهور الجمال ،
وليرحلوا بعيدا .

قالت فى حزم :

— هذا ما سنفعله ، ولكن لدى كلمة لكم
يا شعبى .. لقد تصور بعضكم أو ظن أننى أحب
أحد هؤلاء الكلاب البيض ، ولكنكم نسيتم أنه هناك
نوع من الكلاب لا يعمل إلا إذا ربتنا على رأسه ،

وهذا ما فعلته مع أحد هؤلاء الضمير ، فقد رحت
أرست على رأسه : لاستعمل علومه ومواعنه ،
وأدواته الجهمية ، التي هدمت معبود (المسيح) ..
أتصورتم يا شعبي المحبدين أن حسدة سليمان
و (بلقيس) ، وأبيه الملوك والجنه ، ورهرة
(المور) ، يمكنها أن تهبط من عرشها ، وتمسح بقلبي
لعرب صال ، حياء تسعى حيف كصور الميت
(سليمان) ؟ لا .. إني أرثي لحال هذا العرب ،
الذي تصور يوما أني قد أحسنه ، ودعوه في العبد
لحضور حبل زماق إلى الرجل الذي وهبه نفسي .
ومدت يدها إلى (حوشيا) ، الذي أحنى بلثم
أصابعها مزهوا محورا ، وبهم يصنع كلمات لم يسع
مسايعه ، وسط دوى القاعة بالهناج والتمسوق .
إلى أن علا صوت الكاس كل الأصوات . وهو
يقول :

— لقد سمعنا كل شيء .

رأى الصمت على القاعة إثر صبحه ، وسلم إليه
الجميع ، متحفص صوبه ، وهو يقول في حرم بارد .
— سمعت حديثك يا سيدي الملوك ، وشكرتك
اعترافك بخدمتنا ، ومحاضرتنا ، رواحيا في سدر
هدم معبود (المسيح) ، وعترف بكرمك عندها بطقس

سراحيبا ، وتمحيصا ما وعدت من مكامات مقابل
ذلك ، وهذا دليل على كرم شعب (الإناني) ، الذي
سندكره دوما ، لو قدر لنا العودة إلى وطننا ،
ولكن لي رجاء أخير يا زهرة (المور) .
مالت بحسدها إلى الأمام ، وكلمها بهما كثيرا أن
تستمع إلى مطلبه ، فقال في صوت قوى :

— أريد أن أرى وجهك لأحر مره ، دور نقاب ،
لأؤكد من أن من اسمع إنيها هي نفسها سليله
الملوك . لا يرد أخرى مسكرة في ثوبها وصونها .
رأى حسدها بعد كلبانه ، وأبحت العيون
كلهما إلى حيث يجلس (محبده) ، وكلمها تملكهم
الشفف لمعرفة رد فعلها وجوابها ..

وفي بطن شديد ، رفعت (مجيدة) نقابها ..
وتراجع الكابتن في دهشة ..
بل تراجعنا جميعا ..
لقد بدت لنا (محبده) أخرى ..

(محبده) الشاحبة الذابلة ، وكأنها هيكل أو
شمع مرأ ..
وأرسل جميعا لحصنها سر موقمها البطل ، ومدى
معداتها ، رغم أن ذلك أسود البطل ، مصحبة
بنفسها في سبيل إنقاذها ..

وهنا سقط الكابتن ..

سقط مفشيا عليه ، وكأنها لم يحتفل كل ذلك
القدر من العواطف والانفعالات ..

وكادت (مجيدة) تهوى خلعها ، لولا ان مشيت
بذراعى عرشها ، ومدلت اقصى جهدها لسدو هادئة
ساكنة ، وهي تقول :

— لقد مقد وعنه لما لحقه من إهانات .. اتركوا
لرميقه الطبيب (آدمز) مهمة العناية به ، وعندما
يسميد وعنه أخرجوهم من (المور) ، وامنحوهم
مؤن تكفى لأربعة أيام ، ولا يمسهم أحد مآدى ، حتى
لا يقال إننا قد اطلقنا سراحهم لمقتلهم الما وجوعا
بعيدا عن أبوابنا .

ولوحت بيدها معلمة انتهاء المجلس ، وبهضت
مفسادة المكان ، وخلفها كهنتها وقوادها
ووزراؤها ..

وحمل بعض (الاسانى) الكابتن على محفة ،
وسمعت أحدهم يقول فى سخرية :

— انظروا إلى ذلك الكلب الأبيض ، الذى منى
بفسه بالحصول على رهرة (المور) ، فلم يحصد
سوى الندم والعار .. اطبه قد لقي حقه كيدا .

شاركه الباقر سخريته ونهكمه وشماتته حتى

لعنا سحسا ، فرحت أعمل على إنعاش الكابتن ،
حتى استعاد وعيه ، وقال فى هدوء :

— لقد رايتكم ما حدث يا رفاق ، واستنحلفكم بحق
السماء الا يذكر احدكم (محيدة بسوء ، والا يتحدث
عن هذا الأمر مرة أخرى .

وعندناه بتحقيق رعبته ، فى حين اشباح ولدى
(روبرك) بوجهه ، وانضم انضماما عامضة ، ام
امهم معزاهما لحظتها ، ولكنى لم اسأله ، بل اكنفبت
ما ن تناولنا جميعا الطعام ، ولم نكد نسهى من تناولنا
حتى دخل ضابط من ضباط (الاسانى) إلى حצרنا .
ياهرما بالاسيعداد للرحيل ، وحلفه عدد من الجنود
يلقون إليها ملامسا ومعاطف تقينا شر الرد القارس
لسلا ..

واندلنا بثيابنا ثيابا نظيفة ، ثم خرجنا إلى حيث
تنتظرنا بعض الجمال ، ابركت عندما وقع بصرى
عليها انها من احوذ انواع الجمال ، وقال الضابط
فى صرامة :

— هيا ايها الغرباء .. راجعوا أمتعتكم ، حتى
لا تدعوا اننا قد سرقنا منكم شيئا .. ها هي ذخيرتكم
والعائكم النارية ، ولكننا لن نسلمها لكم قبل بهانه
الطريق ، وستتبعكم جمال تحمل صناديق العظام

التي طلبوها أحرأ ، وأخرى تحوى بعض الآثار ،
التي طلبها (هجر) .. ولقد أمرت الملكة ألا تسحوا
هذه الصاديق قبل بلوغكم (مصر) ، حتى لا تجادلوا
في أمر المكافاة أو قيمتها ، والجمل الآخر يحمل
ملعامكم .. هيا .. لقد حان موعد رحيلكم .

انطلقنا سهوات الحيات ، ورامقنا الحراس حتى
نهاية الطريق ، حيث كانت منتظرنا جماعة من
الناقصين ، الذين راخوا بمطرونا بأقدع الألباط ،
حتى اقتصاهم الجند عما ، وألقى أحد هؤلاء الناقصين
عليها نصة بأسدة ، تحطمت على أنف (هجر) ،
وسالت هي وجهه ، مراح بسب ساحطا نائما ، في
حين انصهرت أنا ضاحكا للمشهد ، وبددت ضحكته
حو الكآبة المحتم على الموقف ، ثم لم يلبث أن احتنقت
في حلقى ، عندما وقع مصرى على رجل في أنفى
حلله ، يمتطى حوادا أشهب ، وينتظرنا منتشقا
سيفه ، وسط ثلة من رجاله ..

كان أكثر شخص بنفسا في هذا العالم ..

الأمير (جوشيا) ..

١٤ - الختام ..

كان أول ما جال محاطرنا ، في تلك اللحظة ، هو
أن (جوشيا) يصمر لنا شرا ، وأنه ما وقف ينتظرنا
خارج أبواب (المور) ، إلا ليمزقنا إربا مع جنوده ،
إلا أنه اكتمى بأنفسامة مسخرة ، وهو يحس في
تهكم ، قائلا :

— الوداع أيها الضيوف الأعزاء .. ارحو لكم
رحلة طيبة آمنة .

ثم التفت إلى الكابتن ، واستطرد :

— أما أنت أيها الومسيم ، مسليله الملوك تملكك
أيها بأسف ، لأمك لن تشاهد حمل رمايها إلى اللبنة ،
ملقد خشيت أن ثور قومها لرؤيتك ، مقتلوك
وتسل دماؤك ليلة عرسها ، ولقد أرسلتني لأخبرك
أنها سمى لو كنت قد وعيت الدرس ، حتى لا يتصور
لاحقا أن عطف صاحبة المصلحة عليك حب ، فتفكر
في عيارنها ، واشرب الليلة نخب زهرة (المور)
وزوجها الأمير (جوشيا) .

واجهه الكابتن في برود ، وقال :

— من يدري على أي أمر تشرق شمس الغد
يا (جوشيا) .. العسرة دائمة بخواتم الأمور ،

لا سدايانها ، وثق أنه من عاش بالسيف مات به ،
وإن حيائك التي مسها على العدر مستنتهى بقدر ،
وإن من يصحك أخيرا يصحك كثيرا ، وكان ينسفي
أن تطلب منى الصفح عن شماتتك وشتائمك ، التي
أنهلت بها على رموس من لا يكون القوة على الثأر
والانتقام .

قال هذا وواصل طريقه ونحو خلمه ، في حين
سمعنا (جوشيا) من خلفنا يسأل أحد رجاله في
دهشة :

— ما الذي يعنيه هذا الخنزير ؟

ولكننا لم نتوقف ، وواصلنا السير حتى استعدنا
عن (جوشيا) ورجاله ، وأبواب (المور) ، وغابت
كلها عن أنصارنا ، فإذا بالأسناذ (هيجر) يسبحر
ضاحكا ، على نحو آثار دهشتنا ، فسأله الكائن :

— وماذا هناك ؟

أوقف (هيجر) جمته ، وهبط من على ظهره ،
واذمغ إلى أحد الحمال المحملة بالصناديق ، وهو
يهتف :

— لا يسأل وانت نجلس هناك .. هلم
وساعدنى لنفتح أحد هذه الصناديق .

قال الكابتن في حذر :

— ولكن أوامر الملكة ..

قاطعه في انفعال :

— دعك من هذا .. هيا وعلونى .

عاوناه جميعا على إنزال أحد الصناديق الثقيلة ،
وهتف هو في انفعال ، وهو يزيل رتاج الصندوق :

— لن يمكنكم أن تتصوروا حجم المكافأة التي

حصلنا عليها ، والتي استقيسها بنفسى من مقابر ملوك
(المور) .

فتحنا الصندوق ، وتراحنا مهورين ..
كانت هناك أكوام من الذهب والمجوهرات
والمحفلات الأثرية والأحجار الكريمة بمختلف أنواعها ..
والتمصت التحف والمجوهرات تحت أشعة
الشمس الأملنة ، وهتف (هيجر) ، وهو يشير إلى
الصناديق التي تحملها الحمال الأخرى :

— كل صندوق من هذه يحمل نفس الأشياء ..
لقد منحتنا الملكة كنزا ، مقابل ما فعلنا .. منحتنا
كنوز الملك (سليمان) .

قلت في انفعال ، وأنا أنطلع إلى الكنز :

— لا تنسوا نصيب الجاويش (كويك) ..
سيحصل على عشرة في المائة من كنوز الملك

(سليمان) ، وسبقناها إلى أبناء شقيقه الراحل ،
و

وقع بصرى في تلك اللحظة على وجه الكابتن ،
الذى بدا باردا ، خاليا من الانفعالات ، فبترت
مبارتى ؛ لأسأله في دهشة :

— ألا يسعدك الحصول على كنوز الملك
(سليمان) ؟

أطلق من أعماق صدره تنهيدة حارة ، وهز
رأسه وكففيه ، وهو يقول في أسف :

— ما فائدتها ، وقد خسرت الكنز الحقيقى ؟
ثم أدار ظهره لنا ، وانصرف متجاهلا أكداس
الذهب والمجوهرات . .

لاحظتها علنا ما الذى يقصده بالكنز الحقيقى ،
وامتلات رموسنا بصورة واحدة . .
صورة الملكة . .

مضت بنا القافلة في الصحراء ، وقد تقدمتها أنا
و (هبجز) ؛ لخبرتنا بدروب الصحارى ، وسار
الكابتن في الوسط ، في حين بقى (رودريك) في
المؤخرة ، لسمعه الحاد ، وخبرته في كبح جماح
الجمال وقيادتها . .

وعبرنا مدينة (هرمق) العظيمة ، وقد خلت من
سكانها ، وصارت اطلالا مهجورة ، على الرغم من
أن حقولها لا تزال مزهرة يانعة ، وواصلنا سيرنا
حتى بلغنا قرية مهجورة ، محططنا فيها الرجال ،
ورحنا نتناول طعامنا ، مع مغيب الشمس . .

ودار بيننا نقاش حول الطريق الذى ينبغى أن
نتخذه ، انطلق إلى الشمال ، أم نسلك
الطريق القديم ، بعد أن جفت مستنقعاته ، وخرج
(رودريك) لاستطلاع المنطقة ، ثم عاد ليخبرنا أنه
قد وجد آثارا تشير إلى أن جيشا عظيما من (الفنج)
قد غادر المدينة منذ ما لا يزيد على اثنتى عشرة
ساعة على الأكثر . .

ولقد اقلقنا هذا كثيرا ، ورحنا نتساءل عما يعنيه
هذا ، حتى غلبنا النوم ، فاستسلمنا إليه في عبق . .
وقبيل الفجر ابتظنى (رودريك) ، وهو يقول :
— معذرة لإزعاجك يا أبى ، ولكن هناك ظاهرة
في السماء ، أحب أن تشاهدها .

استيقظت وتطلعت إلى الشفق ، حيث (المور) ،
وهالئى أن أجد السماء هناك مضاءة ، وكأننا في
وسط النهار ، فأسرعت إلى الكابتن ، الذى لم يذق
النوم ، وهو يعلم أن حبيبته ستزف لأبشع رجل

عرفه في حياته ، فهب يحدق في المشهد بدوره ، ثم
قال في صوت هادئ :

— إن (المور) تحترق .

هتف (رودريك) في انفعال :

— لا ريب أن (الفنج) قد تسللوا عبر الطريق
السرى إلى (المور) ، ولا شك أن (بارونج) قد
ذبح (جوشيا) ، أو قتله شر قتلة ، قبل أن ترف إليه
سلسلة الملوك .

غامت عينا (اورم) بحزن عميق ، دون أن ينبس
ببنت شفه ، في حين غمغت أنا مشغفا :

— يا للملكة البائسة !! ترى ماذا أصابها ؟

هز (هيجز) رأسه ، وقال :

— من يدري ؟ .. إننى محجب حقا بتلك الفاتنة ..
يا للبائسة !

ومجأة هتف (رودريك) :

— هناك من يقتضى أثرنا .

أسرعنا إلى حيث يشير ، ووقع بصرنا على شبح
ملثم ، يعتلى صهوة جواد متمعب ، مرفع (هيجز)
بنديقه إليه ، وقال في صرامة :

— من أنت ؟

هبط الشبح عن جواده ، وبدأ لنا كصبي صغير ،
اتجه نحو الكابتن ، وقال في صوت أجش :

— إننى رسول أحمل رسالة للكابتن .

وناول الكابتن شيئا ، ورأيت الكابتن يحدق في هذا
الشيء مبهورا ، فألقيت نظرة على راحته ، وهتفت :

— رياه !! إنه الخاتم .. خاتم (بلقيس) .

وصاح الكابتن في جزع :

— من أين أتيت بهذا الخاتم أيها الصبي ؟ وماذا
أصاب صاحبه ؟

أجابه الصبي المثلث :

— لقد ماتت ابنة الملوك التى عرفتتها ، ولم تعد
بها حاجة لهذا الخاتم .

امتقع وجه الكابتن ، وتراجع كالمصعوق ،
وانتقلت صاعقه إلينا ، عندها أرفف الصبي بصوت
مللوف لأذاننا :

— ولكن (مجيدة) التى أحببتك ما زالت على قيد
الحياة .

وانترع الصبي اللثام ، وشهقنا جميعا ..

لقد كان (مجيدة) نفسها ، التى رحنا نتطلع إليها

في ذهول وصمت ، قبل أن ترنو هي إلى حبيبها ،
وتضيف :

— لم تعد بي حاجة إلى الخاتم ، ما دمت سابقتي
إلى جوارك .

ضمها (أورم) إلى صدره في لهفة وسعادة
واشتياق ..

الآن فقط نال الكنز الحقيقي ..

كنز الملك (سليمان) ..

[تمت بحمد الله]



وانتزع الصبي اللثام ، وشبهنا جميعاً ..
لقد كان (مجيدة) نفسها ، التي رحنا نتطلع إليها ..



كنوز الملك سليمان

رائعة الأديب البريطاني (رايدر هاجارد) ، التي
يقفز فيها عبر عالم الخيال ، إلى بلاد غامضة مجهولة ،
وسط أدغال أفريقيا ، ليواجه مع أبطاله الأهوال
والأحداث المثيرة ، في سبيل بلوغ تلك الكنوز
الأسطورية .. (كنوز الملك سليمان) .

